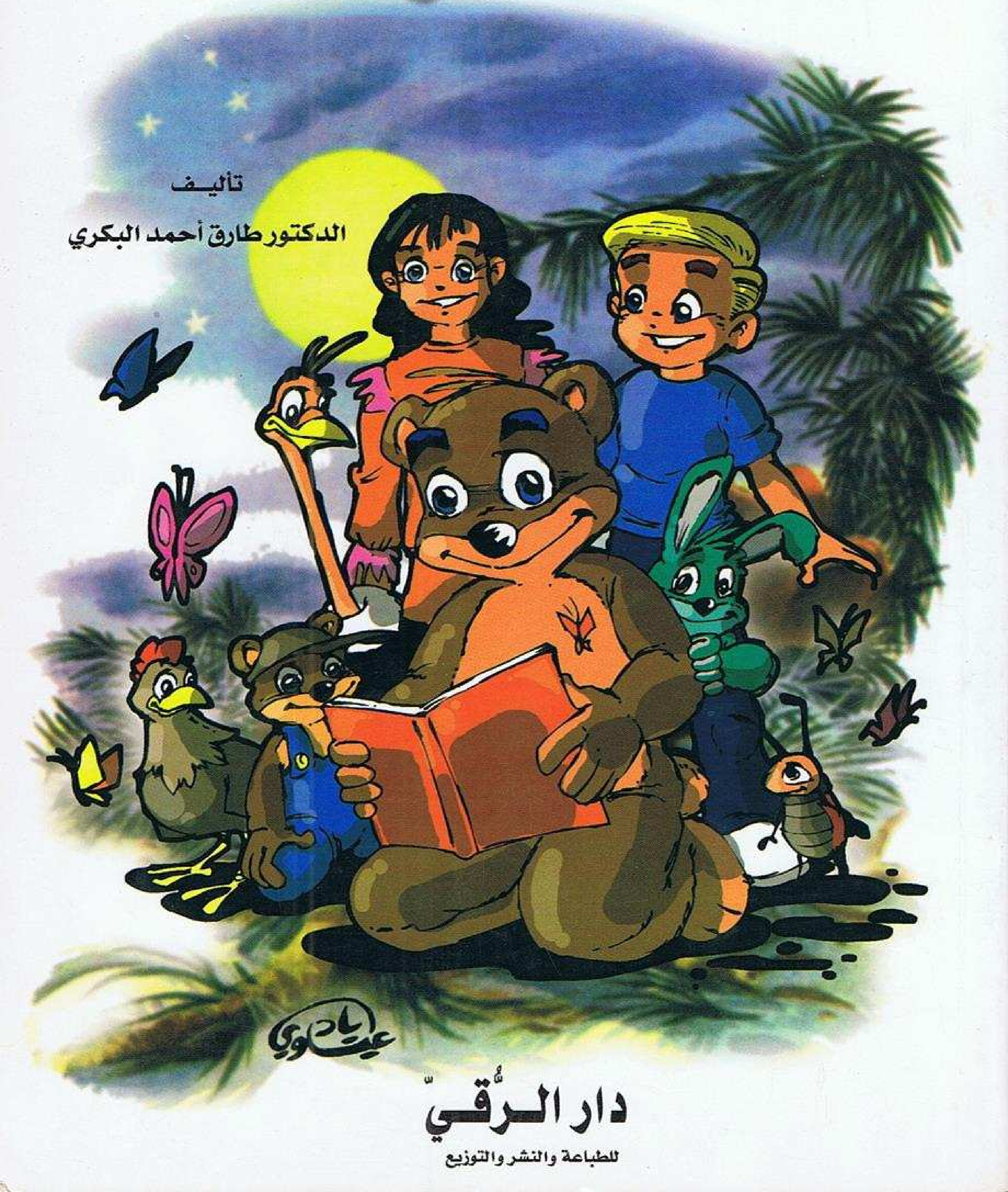
50 قصة قصيرة للأطفال



تأليف

الدكتور طارق أحمد البكري

دار الرُّقيّ

للطباعة والنشر والتوزيع

50 قصة قصيرة للأطفال

تأليف

د. طارق أحمد البكري

دار الرُّقيّ

للطباعة والنشر والتوزيع

خليوي: 00961 3 235949 بيروت - لبنان

تليفاكس: 00961 7 920158 - ص.ب: 4101

الطبعة الأولى
2003

دار الرُّقيّ
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان
خليوي: 00961 3 235949
تليفاكس: 00961 7 920158 - ص.ب: 4101

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الدكتور طارق أحمد البكري يعرف جيداً كيف يجمع في قصصه بين متعة القراءة والتثقيف. فهو لا يكتفي بإتقان الحبكة القصصية فيما يكتبه، بل يخرج القارىء من كل قصة يكتبها بقيمة أخلاقية وحكمة نفيسة هي أكثر ما يحتاجه الأطفال والمراهقون في مجتمعنا العربي والإسلامي.

وفي هذا الكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - نضع مجموعة من القصص المختارة للدكتور البكري، وقد قسّمناها إلى ثلاث مجموعات هي:

١ - قصص إسلامية.

٢ - قصص قصيرة.

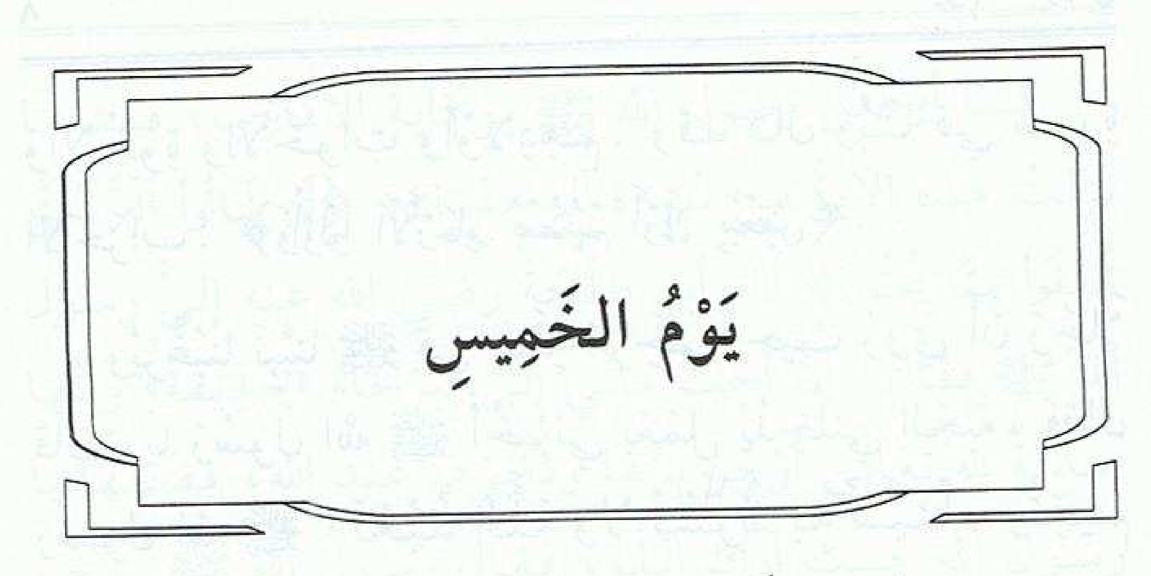
٣ - قصص قصيرة جداً.

مع أملنا ودعائنا المولى تعالى أن يُشْبع هذا الكتاب نَهَمَ جيلنا الجديد للمعرفة والمتعة الهادفة، فإننا نرجو أخيراً أن نكون قد قدّمنا مساهمةً بسيطةً في رفع مستوى هذه الأمّة، والحمد لله أولاً وآخراً.

الناشـر

القسم الأول

قصص إسلامية



يَوْمُ الخَمِيسِ

صَباحُ الخَيرِ يا أَصْدِقَائي!

أَنْتُمْ تُحِبُّونَ يَوْمَ الخَمِيسِ لأنّه يَوْمُ رَاحَةٍ مِنْ عَنَاءِ أسْبُوعٍ دِرَاسِيٍّ طويلٍ وشَاقٍّ.

مَرْحَى بكم هذا الصَّبَاحَ، وكُلَّ صَباحٍ، عندما تَضْحَكُ الشَّمْسُ وتُلْقِي أَشِعَّتَها لتُضِيءَ نَهارَنا، وتَمْلأَ حَياتَنا بالنَّشَاطِ والفَرَحِ والحُبُورِ.

يَوْمُ الخَمِيسِ، يَوْمُ صُبْحِيَّةِ الأُسْرَةِ، تجتمعُ بعيداً عن هُمُومِ الدِّراسة ومَشَاغِلِ الحَيَاةِ، فما أَجْمَلَ صُبْحِيَّةَ الخميس، وما أَرْوَعَ هذه الصُّحْبَةَ بين أفْرادِ الأُسْرَةِ جميعاً، وما أَحْلَى زِيَارَةَ الصَّبَاحِ بين أفراد الأُسْرَة الوَاحِدَة.

فنحنُ يا أصدقائي نُؤمِنُ بأنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ، والأَرْحَامُ هي أَقَارِبُ الإنسانِ من جِهَةِ الوالدِ أو الوالدة، كالأَجْدَادِ والأَعْمَام والعَمَّاتِ والأَخْوَالِ والخَالاتِ

والإِخْوَةِ والأَخَواتِ وأَوْلادِهِم. وقد قال رَبُّنا في سُورَةِ الأَحْزَابِ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

ويُرَغِّبُنا نَبِيُّنا ﷺ في صِلَةِ الرَّحِمِ، حيث رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً قال: يا رَسُولَ الله ﷺ أَخْبِرْني بعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ ولا تُشْرِكُ به شيئاً، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتي الزَّكَاةَ وتَصِلُ ذا رَحِمِكَ.

يا سُبْحَانَ الله! كيف قَرَنَ رَسُولُ الله ﷺ بين الصَّلاةِ والزَّكَاةِ وصِلَةِ الرَّحِمِ، وجَعَلَ ثَالِثَ الأَعْمَالِ التي تُدْخِلُ الجَنَّةَ صِلَةَ الرَّحِمِ.

والأَحاديثُ يا أصدقائي في هذا المَوْضُوعِ كثيرةٌ جدّاً، وقد اخْتَرْتُ لكم بَعْضَها، فأَنْصِتُوا باهْتِمَامٍ.

قال رَسُولُ الله: الصَّدَقَةُ على المِسْكِين صَدَقَةٌ، وعلى ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وصِلَةٌ.

وبذلك كان للصَّدَقَةِ على القريبِ المُحْتاجِ أَجْرُ الصَّدَقَةِ وأَجْرُ صِلَةِ الرَّحِمِ، ونَفْهَمُ من هذا الحَديثِ أَنَّ صَدَقَةَ المُوسِرِ على المُعْسِرِ القريبِ أفضلُ مِنَ الصَّدَقَةِ على الغَرِيبِ، حتَّى تَشِيعَ المحبةُ والأُلْفَةُ بين أفراد الأُسْرَةِ الواحدةِ، مَنْعاً للتَّباعُدِ والجَفَاءِ.

كما أَوْصَى رسولُ الله ﷺ برِعَايَةِ الأقارِبِ، فعندما نَزَلَتْ هذه الآيةُ من سُورة آلِ عِمْرَان: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طَلْحَةَ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ أَحَبَّ مالي إلَيَّ بِيرَحَاءُ «حَدِيقَةٌ» وإنَّها صدقةٌ لله تَعَالَى أرْجُو بِرَّهَا وذُخْرَها عند الله، فضَعْهَا يا رسولَ الله حيث أراكَ اللَّهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: بَخْ، ذلك مالٌ رَابِحٌ، ذلك مالٌ رَابِحٌ، قد سمعتُ ما قُلْتَ وإنِّي أَرَى أنْ تَجْعَلَها في الأَقْرَبِينَ، فقال أبو طلحةَ: أَفْعَلُ يا رَسُولَ الله. فقَسَمَها أبو طلحة في أقاربه وبَني عَمِّهِ.

فَلْنَنْظُرْ يا أصدقائي إلى عَظَمَةِ هذا الصحابيِّ الجَلِيلِ، إنَّه يَتَخَلَّى عن أَعَزِّ شيءٍ يَمْلِكُهُ، وهي حديقةٌ غَنَّاءُ، طَمَعاً برِضَى الله سبحانَهُ، وكان تَوْجِيهُ النبيِّ الكَرِيمِ أنْ تَكُونَ هديةً لأقاربِ أبي طلحةَ، مكافأةً له على إيمَانِه وعَطَائِه، وكذلك إكراماً لأقَارِبِ هذا الرَّجُلِ الذي تَخَلَّى عن حَدِيقَتِهِ التي يُحِبُّ لأنه يُحِبُّ الله ورَسُولَه أَكْثَرَ منها.

ويُحَذِّرُنَا اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ ورَسُولُه ﷺ مِنْ قَطْعِ الأَرْحَامِ، فيقولُ رسولُ الله ﷺ: إنَّ الله تعالى خَلَقَ الخَلْقَ حتَّى إذا فرَغَ منهم قَامَتِ الرَّحِمُ فقالت: هذا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ

القَطِيعَةِ، قال: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالت: بَلَى، قال: فذلك لَكِ.

ثم قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: اقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ قولَهُ تعالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

فهذه الآيةُ يا أَصْدِقَائي وهي في سُورَةِ مُحَمَّدٍ، تُشِيرُ إلى أنَّ قَطْعَ الأرحامِ مِنَ الفَسَادِ في الأرْضِ وجَزَاؤُهُ لَعْنَةُ الله.

ولهذا قال رسولُنا الكريمُ: لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ.

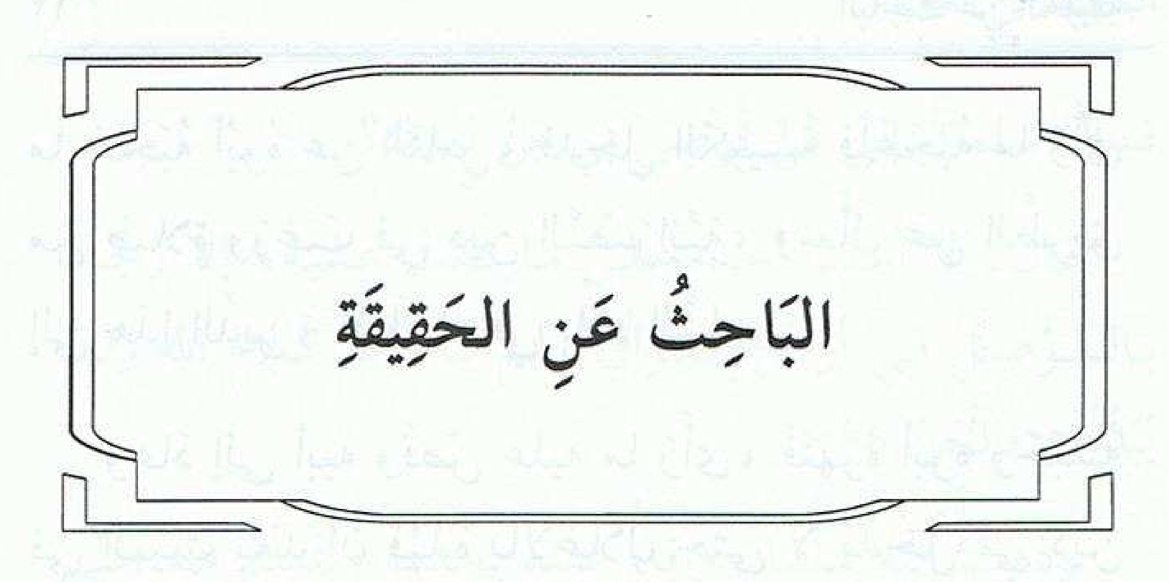
فعلينا أنْ نَصِلَ الأرحامَ وإنْ أساءَ بعضُهم إلينا، فقد قال رسولُ الله ﷺ: أَفْضَلُ الفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وتُعْطِيَ مَنْ مَنَعَكَ، وتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ.

وقالَ أيضاً: لَيْسَ الوَاصِلُ بالمُكَافِىءِ، لكنَّ الوَاصِلَ إذا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا.

مِنْ هُنَا كان يومُ الخميس، وغيرُه من العُطُلاتِ والمناسباتِ الدِّينيَّةِ والوطنيةِ فُرْصَةٌ لتَلاقِي الأقارِبِ، وإشَاعَةِ المَحَبَّةِ والوُدِّ والتَّآلُفِ فيما بينهم.

إذنْ.. نحنُ مُتَّفِقُونَ.

ما أَحْلَى يَوْمَ الخَمِيسِ.



البَاحِثُ عَنِ الحَقِيقَةِ

يَنْتَسِبُ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ ـ رضي الله عنه ـ إلى بِلادِ فَارِسَ «إيران حاليّاً».

كان أَبُوهُ أَغْنَى أَهْلِ قَرْيَتِهِ ورَئِيسَها، أما سلمانُ ـ رضي الله عنه ـ فكان دَائِمَ السّؤالِ والبَحْثِ عن الدِّينِ الحَقِّ الذي يَقْبَلُهُ العَقْلُ، أهو المجوسيّةُ أم النَّصْرانيّةُ، وذلك في وَقْتٍ لم يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ قد بُعِثَ بَعْدُ.

وكانت القريةُ الّتي نشأَ فيها سَلْمَانُ الفارسِيُّ ـ رضي الله عنه ـ هي قريةُ «جيّ» وتُسَمَّى الآن «شَهْرَسْتَانَ»، وكان أبوه يُحِبُّهُ حُبّاً شَدِيداً، وبَلَغَ مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِ له أنْ أبقاهُ في البَيْتِ خَوْفاً عليه، فكان لا يخرجُ منه إلاّ نادراً.

وفي أَحَدِ الأيّامِ شُغِلَ أَبُوهُ عن ضَيْعَةٍ له، فأرسلَه لِيَتَوَلّى أَمْرَها، وبينما هو في الطَّرِيقِ مَرَّ بكَنِيسَةٍ فسَمِعَ أصْوَاتَ المُصَلِّينَ، ولم يكنْ يَعرفُ مِنْ أَمْرِهِمْ شيئاً لطُولِ

ما حَجَبَهُ أبُوهُ عن النّاسِ، فدخلَ الكَنِيسَةَ فأعْجَبَهُ ما رَأى من صَلاةٍ ورَغِبَ في دِينِ النَّصْرانِيَّةِ، وسأَلَ عن الطَّرِيقِ إلى هذا الدِّينِ، فقِيلَ له في بلاد الشَّامِ.

وعادَ إلى أبيه وقَصَّ عليه ما رَأى، فَنَهَرَهُ أبوه وحَبَسَهُ في البَيْتِ بعد أنْ قَيَّدَهُ بالأغْلالِ حتى لا يَدْخُلَ في دِينٍ جديدٍ ويَدَعَ دِينَ آبائه.

ولكنَّ سَلْمَانَ ـ رضي الله عنه ـ تَحَيَّنَ فُرْصَةً غَافَلَ فيها أَهْلَ بَيْتِه وهَرَبَ بعد أنْ وَجَدَ من عَاوَنَهُ في فَكِّ قُيُوده. وركبَ سلمانُ مع قافلةٍ مُتَّجِهَةٍ إلى الشَّام، وعندما وَصَلَها قَابَلَ الأُسْقُفَّ، وأَبْدَى له الرَّغْبَةَ في تَعَلُّمِ دِينِ النَّصْرانيةِ، فرَحَّبَ به وقَبِلَهُ خادماً له وتِلْمِيذاً يتعلَّمُ منه.

ولكنَّ سلمانَ ـ رضي الله عنه ـ اكْتَشَفَ بعد فترة أنَّ هذا الأُسْقُفَّ رَجُلُ سَوْءٍ، يَأْمُرُ بالصَّدَقَةِ ويأخُذُها لنفسه، وما لَبِثَ الأُسْقُفُّ أنْ مَاتَ، فأخبرَ سلمانُ الناسَ بما كان مِنْ أَمْرِه، ودَلَّهُمْ على المَكَانِ الذي يُخْفي فيه كَنْزَهُ وذَهَبَهُ الّذِي جَمَعَهُ من أمْوَالٍ، فرَجَمُوهُ وهو مَيِّتٌ.

وجَاءُوا بأُسْقُفٍّ آخرَ، ووجَدَه سلمانُ رَجُلَ صَلاحٍ وتَقْوَى، فَلَزِمَهُ يَخْدُمُهُ ويَتَعَلَّمُ منه حتّى حَضَرَهُ المَوْتُ،

فسأله سلمانُ إلى مَنْ تُوصِي بي مِنْ بَعْدِكَ؟

قال: لا أعلمُ أحداً على ما كنتُ عليه، إلاّ رَجُلاً بالمَوْصِلِ في أرْضِ العِراقِ، لم يُحَرِّفْ كَلامَ الله ولم يُبَدِّلْهُ، فالْحَقْ به!

وذهبَ إليه سلمانُ وأقام عندَه يَخْدُمُه ويَتَعَلَّمُ منه حتّى حَضَرَتْهُ الوفاةُ، فسأله سلمانُ: إلى مَنْ تُوصِي بي من بَعْدِكَ؟

قال: رَجُلٍ في نِصِّيبِينَ قُرْبَ المَوْصِلِ.

فلَحِقَ به وجَاوَرَه حتّى حَضَرَهُ المَوْتُ، فأَوْصَى سَلْمَانَ أنْ يذهبَ إلى رَجُلٍ في عَمُّورِيَّةَ بأرْضِ الرُّومِ، فذَهَبَ إليه سلمانُ ولَزِمَهُ حتى حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، وسأله إلى مَنْ تُوصِي بي مِنْ بعدك؟

قال الرجلُ: والله ما أعلمُ أنَّ هناك أحداً من الناسِ مُسْتَمْسِكُ بما كُنَّا عليه على وَجْهِ الأرضِ، ولكن جَاءَ الزَّمانُ الذي يُبْعَثُ فيه نَبِيٌّ مِنَ العَرَبِ، يُهَاجِرُ إلى أرْضِ ذاتِ نَخْلٍ، وله علاماتٌ: فهو يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ ولا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، وبين كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَلْحَقَ بتلك البلادِ فافْعَلْ.

رَحَلَ سلمانُ مَعَ قافلةٍ من تُجَّارِ العَرَبِ، وأعطاهُمْ ما عِنْدَه من مَالٍ، ولكنهم غَدَرُوا به في الطَّريقِ، وبَاعُوهُ لرَجُلٍ من اليَهُودِ، فظَلَّ يَخْدُمُهُ حتى باعَهُ هذا اليهوديُّ لقَرِيبٍ له من قبيلة بَنِي قُرَيْظَةَ، التي تَسْكُنُ يَثْرِبَ، ونقلَهُ الرجلُ إلى هناك، فرأى سلمانُ النَّخِيلَ الذي ذَكَرَهُ صاحبُه في عَمُّورِيَّةَ.

وبينما كان سلمانُ فوق نَخْلَةٍ يَقْطُفُ تَمْراً لسَيِّدِهِ إذْ سَمِعَ سَيِّدَهُ يتكلَّمُ مَعَ بَعْضِ أَقَارِبِهِ عن رَجُلٍ هَاجَرَ إليهم من مَكَّةَ يَدَّعي أنَّه نبيٌّ، كادَ سلمانُ أنْ يسقطَ من شِدَّةِ سَعَادَتِهِ بما سَمِعَ، ونَزَلَ مُسْرِعاً ليَتَحَقَّقَ الخَبَرَ لكنَّ سَيِّدَهُ صَدَّهُ ونَهَرَهُ.

ولمّا كان المساءُ أَخَذَ سلمانُ طعاماً إلى رَسُولِ الله ﷺ وهو مُجْتَمِعٌ بأصْحَابه، وقال له سلمانُ: أَعْرِفُ أَنَّكَ رجلٌ صالحٌ، وهذا شيءٌ كان عندي للصَّدَقَةِ فرَأَيْتُكم أَحَقَّ به مِنْ غَيْرِكُم. فأعْطَاه رسولُ الله ﷺ لأصْحَابه ولم يَأْكُلْ منه، فقال سلمانُ في نَفْسِه: هذه أوَّلُ عَلَامَةٍ من عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ، ثم انْصَرَفَ.

وجاءَ مَرَّةً أُخْرَى ومعه طعامٌ وقال لرَسُولِ الله ﷺ:

رَأَيْتُكَ لا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وهذه هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بها، فأَكَلَ منها رسولُ الله ﷺ وأَعْطَى أصْحَابَهُ، فقال سلمانُ في نَفْسه: وهذه الثانيةُ.

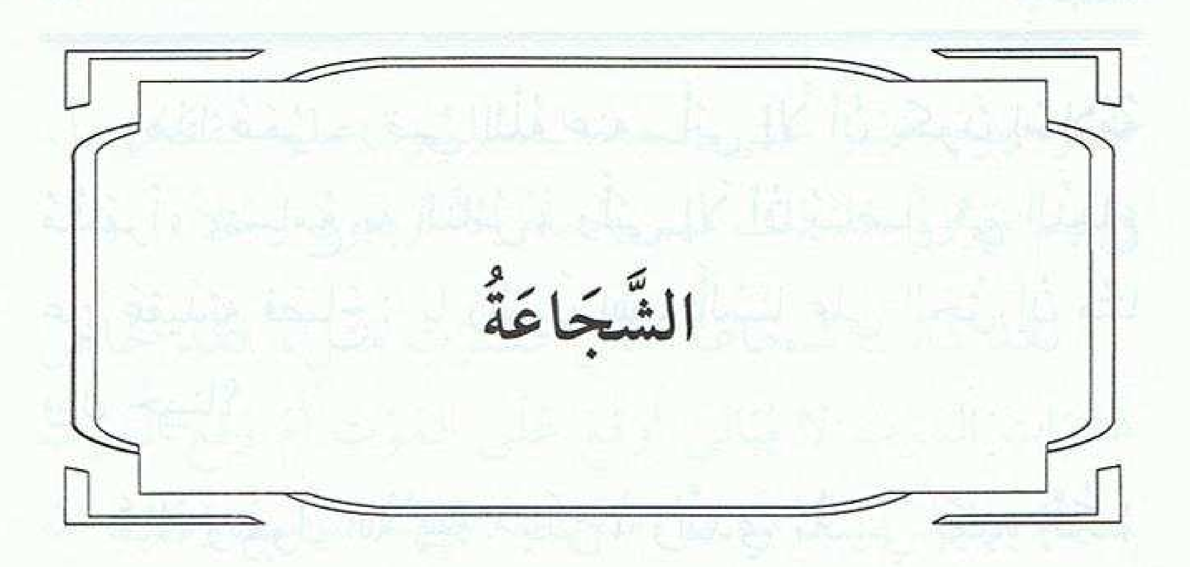
وذَهَبَ سلمانُ مرَّةً ثالثةً إلى رَسُولِ الله ﷺ وكان جالساً، فأخذ يَتأَمَّلُ ظَهْرَهُ، فعَرَفَ رسولُ الله ﷺ غَرَضَهُ فأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِه، فرأى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ فانْكَبَّ عليه سلمانُ تَقْبيلاً وبُكَاءً، فقال رسولُ الله ﷺ: ما خَبَرُكَ؟ فقَصَّ عليه سلمانُ قِصَّتَهُ، فأُعْجِبَ رسولُ الله ﷺ به وقَرَّبَهُ منه.

شُغِلَ سلمانُ بالرِّقِّ فلم يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَدْراً وأُحُداً، حتى قال له رسولُ الله ﷺ: كَاتِبْ يا سلمانُ عَنْ نَفْسِكَ «أي ادْفَعْ لِسَيِّدِكَ ما يُرِيدُ حتَّى تَتَحَرَّرَ من العُبُودِيَّةِ». فلم يَزَلْ بسَيِّدِه حتى كَاتَبَهُ على أنْ يَزْرَعَ له ثلاثمائة نَخْلَةٍ صَغِيرةٍ، وعلى أربعين أُوقِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: أَعِينُوا أَخَاكم بالنَّخْلِ. فجاء الصحابةُ بالخُمْسِ والعُشْرِ حتى اجْتَمَعَ له ما يريدُ، وكان رسولُ الله ﷺ يَأْخُذُ النَّخْلَةَ بيده الشَّرِيفَةِ مِنْ سلمانَ فيَضَعُها في الأَرْضِ ويُسَوِّي عليها تُراباً.

وأوّلُ غَزْوَةٍ شَهِدَها سلمانُ هي غَزْوَةُ الخَنْدَقِ «الأحزاب» وكان ـ رضي الله عنه ـ هو الّذي أَشَارَ على رَسُولِ الله ﷺ بحفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ المدينةِ المُنَوَّرَةِ، فقد كان لأَهْلِ فَارِسَ خِبْرَةٌ في حَفْرِ الخنادق كوسيلةٍ للدِّفَاعِ والإيقَاعِ بالعَدُوِّ، وكانت هذه المَشُورَةُ مِنْ أَسْبَابِ انْتِصارِ المُسْلمينَ على الأحْزَابِ، وشاركَ سلمانُ بعد ذلك في جَمِيعِ غَزَوَاتِ رسولِ الله ﷺ كما شَارَكَ في حُرُوبِ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ.

وفي خلافة عُثْمَانَ بْنِ عَفَّان عام (٣٤هـ) حَضَرَتْ سَلْمَانَ الوَفَاةُ فأخَذَ يبكي، ولمّا سُئِلَ عن بُكَائه قال: أما إنّي لا أَبْكي جَزَعاً من المَوْتِ ولا حِرْصاً على الدُّنْيا ولكنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَهِدَ إلينا أن يكونَ بلاغُ أَحَدِنَا من الدُّنْيا كزَادِ الرَّاكِبِ.

فلمّا مَاتَ ـ رضي الله عنه ـ نظَرُوا في بَيْتِهِ فلم يَجِدُوا فيه إلا مَتَاعاً قُوِّمَ بنحْوٍ مِنْ عِشْرِينَ دِرْهَماً.



الشَّجَاعَةُ

الشَّجَاعَةُ يا أَصْدِقَائي من سِمَاتِ الإِنْسَانِ المُؤمِنِ الصَّادِقِ في القَوْلِ والعَمَلِ، لا يَهَابُ قَوْلَ الحَقِّ، ويُدَافِعُ عمَّا يراهُ حَقّاً بكل ما آتاهُ الله مِنْ قُوَّةٍ.

وسَأَرْوِي لكمْ حَديثاً جَرَى بين عَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ - رضي الله عنه - وأصْحَابِهِ عندما قَالَ: أَخْبِرُونِي مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟ فقالوا: أَنْتَ، قال: أَمَّا أنا، ما بَارَزْتُ أحداً إلا انْتَصَفْتُ منه، ولكن أَخْبِرُوني بأَشْجَعِ النَّاسِ، قالوا: لا نَعْلَمُ، فَمَنْ؟

قال: أَبُو بَكْرٍ، إنَّهُ كان يَوْمُ بَدْرٍ فجَعَلْنَا لرَسُولِ الله ﷺ عَرِيشاً، فقُلْنا: مَنْ يكونُ مَعَ رَسُول الله ﷺ لئلاً يَهْوِي إليه أَحَدٌ مِنَ المشركين؟ فوالله ما دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إلا أَبُو بَكْرٍ شاهِراً سَيْفَهُ على رَأْسِ رَسُولِ الله ﷺ لا يَهْوِي إليه أحد إلا هَوَى إليه، فهو أَشْجَعُ النَّاسِ.

وهذا عُمَرُ ـ رضيَ اللَّهُ عنه ـ أَبى إلاَّ أنْ يكونَ إسْلامُهُ مُشْهَراً، يتسامعُ به الناسُ، وأَبى إلاّ أنْ يُناضلَ في الدِّفاع عن عَقِيدَتِهِ فصَاحَ: يا رَسُولَ الله، أَلَسْنا على الحَقِّ إنْ مِتْنا وإنْ حَيِينا؟

قَالَ رسولُ الله ﷺ: بَلَى، والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ إنَّكُمْ على الحَقِّ إنْ مِتُّمْ وإنْ حَيِيتُمْ.

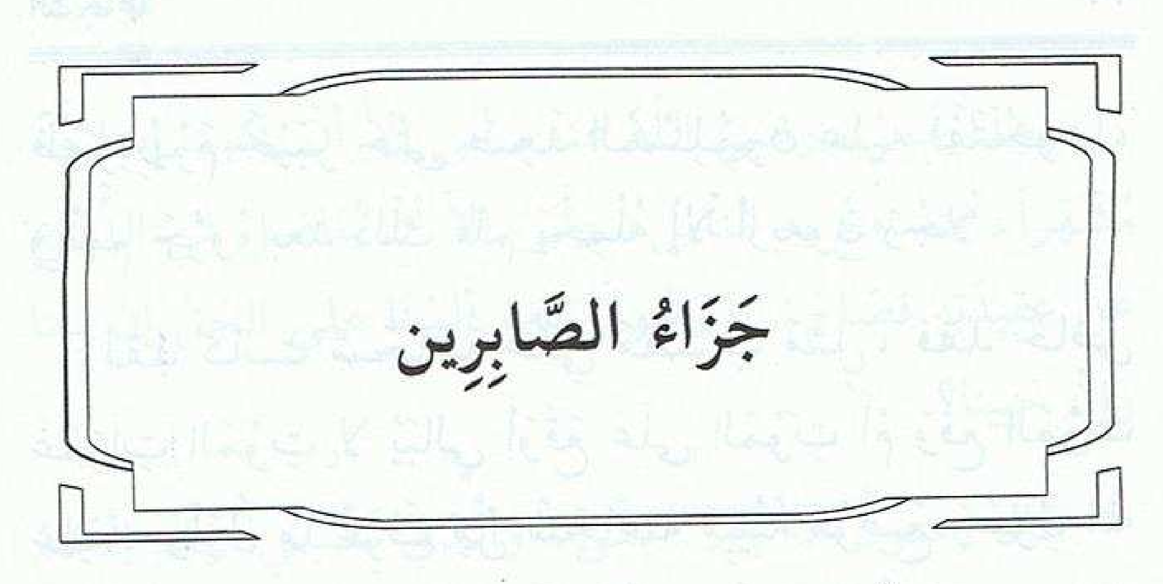
قال عُمَرُ: فَفِيمَ الاخْتِفاءُ؟ والَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لنَخْرُجَنَّ.

فخَرَجَ رسولُ الله ﷺ في صَفَّيْن، حَمْزَةُ في أحدهما وعُمَرُ في الآخَرِ، ولَهُمْ كَدِيدٌ «صَوْتٌ يُشْبِهُ الحَوَافِرَ في الأرض الصُّلْبَة» ككَدِيدِ الطَّحْنِ، حتَّى دَخَلُوا المَسْجِدَ، فإذا بقُرَيْشٍ وقَدْ أصابَهُم هَمٌّ واكْتِئابٌ ما أُصِيبُوا بمِثْلِهِما، قال عُمَرُ: فسَمَّاني رسولُ الله ﷺ الفَارُوقَ يومئذٍ «أي الَّذي يَفْرُقُ بين الحَقِّ والبَاطِلِ».

وكان عليٌّ ـ كَرَّمَ اللَّهُ وجهه ـ مَضْرِبَ المَثَلِ بشَجَاعته المَشْهُودة، وكان ـ رَضِيَ الله عنه ـ قويّاً جدّاً، فهو الَّذي قَلَعَ بَابَ خَيْبَر، واجْتَمَعَ عليه عُصْبَةٌ من النَّاسِ لِيَقْلِبُوهُ فلم يَقْدِرُوا. قال جَابِرُ بْنُ عبد الله: حَمَلَ عليٌّ البَابَ على

ظَهْرِهِ يَوْمَ خَيْبَر حتّى صَعِدَ المُسْلِمُون عليه ففَتَحُوها، وإنَّهم جَرُّوهُ بعد ذلك فلم يَحْمِلْهُ إلاّ أربعون رَجُلاً.

لقد كانت شَجَاعَةُ عليٍّ مَضْرَبَ مَثَلٍ، فقد خَاضَ غَمَرَاتِ المَوْتِ لا يُبَالي أَوَقَعَ عَلَى المَوْتِ أَمْ وَقَعَ المَوْتُ عليه، وأَوَّلُ ما عُرِفَ مِنْ شَجَاعته مَبِيتُهُ مَوْضِعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الهِجْرَةِ، وهو يَعْلَمُ أنَّ قوماً يَتَرَصَّدُونَه حتى إذا خَرَجَ قَتَلُوهُ، فلم يَكُنْ ذلك مِمَّا يُضْعِفُ قَلْبَه أو يُؤَثِّرُ في نَفْسِه، وكان الناسُ يَهَابُونَ مَوَاقِفَهُ ويَخْشَوْنَ مُبَارَزَتَهُ، لِمَا يعلمون مِنْ شِدَّة صَوْلَتِهِ وقُوَّةِ ضَرْبَتِهِ.



جَزاءُ الصَّابِرِين

الصَّبْرُ يا أَصْدِقَائي نِعْمَةٌ مِنَ الله على عِبَادِهِ الصَّالحين، ويُرْوَى عن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قالَ: «ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطاءً خَيْراً وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

لذلك علينا جميعاً أَنْ نَسْلُكَ طَرِيقَ الصَّابرين عند كُلِّ سُوءٍ، فعند المَرَضِ، نعلمُ أَنَّ الله هو الشَّافي، وعند البَلاء نعلمُ أَنَّ الله هو المُنْقِذُ، وعند الفَقْرِ نعلمُ أَنَّ الله هوالمُغْنِي، وفي كُلِّ أَمْرٍ يُصِيبُنَا علينا أَنْ نَتَحَمَّلَ الأَذى والضَّرَرَ، ليكونَ هذا الأَذَى وهذا الضَّرَرُ مِنَ الحَسَنَاتِ التي يَحُوزُها الإنسانُ، لأَنَّ الصَّبْرَ ثوابهُ جَزِيلٌ، والصَّابرُ يُنْقِذُهُ اللَّهُ مِنْ مِحْنَتِهِ، ويَصْرِفُ عنه كُلَّ سُوءٍ.

وسوف أُخْبِرُكُم يا أصدقائي قِصَّةً مِنْ أَرْوَعِ القِصَصِ الشَّريفةِ عن الصَّبْرِ والصَّابرين.

هل سَمِعْتُمْ يوماً بالصَّحابِيَّةِ الجليلةِ أُمِّ عَلاءٍ؟ فقد

كَانَتْ مِنْ أَهْلِ المدينة المُنَوَّرَةِ، ومِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ الله ﷺ.

ومَرَّةً، افْتَقَدَها رَسُولُ الله ﷺ، وكان مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَطْمَئِنَّ على كُلِّ سُكَّانِ المَدينةِ مِنَ المُسْلمين، فقيل له إنَّها مريضةٌ وتُلازِمُ فِرَاشَها منذ أيَّامٍ.

هل تَدْرُونَ يا أصدقائي ماذا فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ عندما عَرَفَ خَبَرَ مَرَضِهَا؟ لم يَقُلْ إنّه مَشْغُولٌ، وليس عندي وَقْتٌ، أو أَذْهَبُ إليها فيما بَعْدُ، بل دَعَا جَمْعاً مِنَ الصَّحابة الكِرَامِ ليَعُودُوها في بَيْتِها.

وهذا يا أصدقائي يُعَلِّمُنا أَهَمِّيَّةَ زِيارَةِ المَرِيضِ، والاطْمِئنَانِ عليه، كذلك يُعَلِّمُنا أنَّ الصَّحابَةَ الكِرَامَ كانوا يَتَزاوَرُونَ فيما بينهم، مُتَسَتِّرِينَ بالحَيَاء والإيمانِ، ولا يَنْظُرُونَ إلى ما حَرَّمَهُ الله عليهم.

ولَمَّا دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ عليها، رَأَى الحُمَّى وقَدِ اشْتَدَّتْ عليها، وهي تَئِنُّ مِنْ شِدَّة الألَمِ، حتَّى إنَّها كانت تصرخُ فيُسْمَعُ صَوْتُها مِنْ خَارِجِ بَيْتِها.

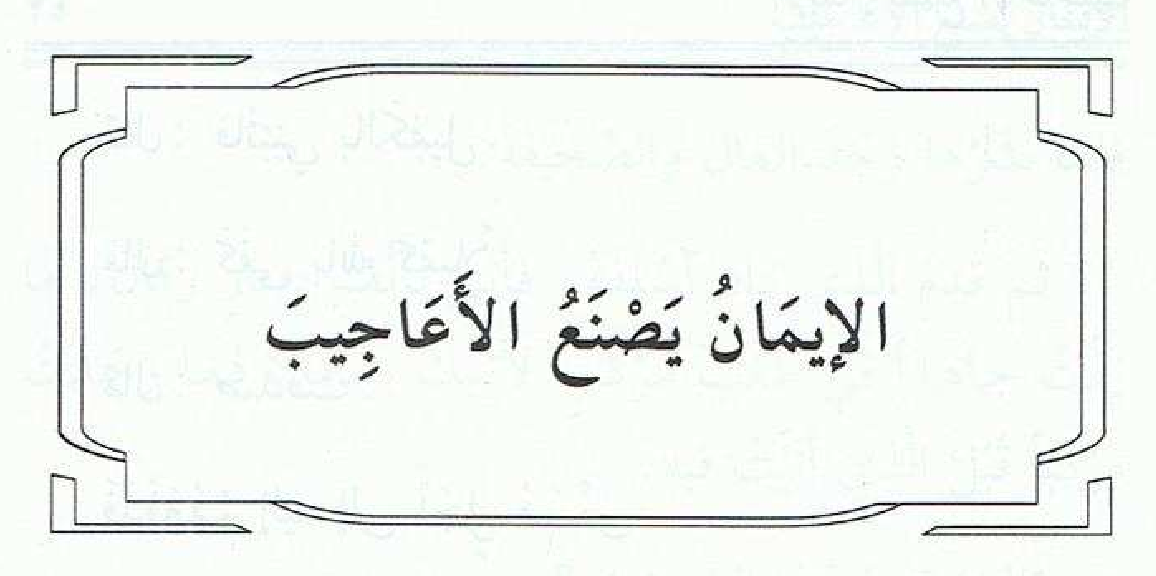
فجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ عندها وواسَاهَا، وعَوَّذَهَا من الشَّيْطان الرَّجِيمِ، ثُمَّ قالَ:

«يا أُمَّ عَلاءٍ، اصْبِرِي وأَبْشِرِي، فإنَّ مَرَضَ المُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ به خَطَايَاهُ كما تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ والفِضَّةِ».

فَهَدَأَتْ أمُّ علاءٍ، واسْتَكَانَتْ، وصَبَرَتْ على قَضَاءِ الله، ثم رَحَلَ رَسُولُ الله ﷺ وهو يَدْعُو لها بِجَمِيلِ الصَّبْرِ وسُرْعَةِ الشِّفَاءِ.

وما هي إلا أيَّامٌ حتَّى بَرِئَتْ أمُّ علاء وشَفَاهَا اللَّهُ من سَقَمِهَا، بفَضْلِ بَرَكَةِ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ وبفَضْلِ صَبْرِهَا على المَكَارِهِ.

وهكذا يا أصدقائي نُلاحِظُ أنَّ للصَّبْرِ كثيراً مِنَ الفَوَائِدِ؛ منها القُدْرَةُ على التَّحَمُّلِ، ومَعُونَةُ الله على انْقِضَاءِ الأذَى، وحُصُولُ الفَرَجِ القَرِيبِ، والتَّجَمُّلُ عند المُصَابِ، ممَّا يُهَدِّىءُ الأعْصَابَ، ويُثْلِجُ الصُّدُورَ، ويُنْقِذُ مِنَ الكُرُبَاتِ، وأفْضَلُ شيءٍ نَسْتَفِيدُهُ مِنَ الصَّبْرِ هو أنه يُسَاعِدُ الإنسانَ على تَحَمُّلِ الأذَى واللَّهُ دائماً مَعَ الصَّابِرِينَ.



الإيمانُ يَصْنَعُ الأَعَاجِيبَ

الإيمانُ الصَّادقُ يملأُ صَدْرَ الإنسانِ ثِقَةً برَبِّه، ويقيناً بأنَّ الحَقَّ لا يمكنُ أنْ يَضِيعَ، وأنَّ الاعْتِمَادَ عليه سُبْحَانَهُ يُحْدِثُ المُعْجِزَاتِ.

وسأَرْوِي لكم اليَوْمَ يا أصدقائي قِصَّةً حقيقيةً، أَخْبَرَنا بها نَبِيُّنا المَعْصُومُ عن الخَطَأِ والزَّلَلِ ﷺ، تتحدَّثُ عن رَجُلَيْنِ مُؤْمِنَيْنِ من بني إِسْرَائِيلَ، فقد كان بَنُو إِسْرائيلَ في الماضي يَعْبُدُونَ الله حَقَّ العِبَادَةِ، ويخَافُونَه ولا يَعْتَدُونَ على الآخَرِينَ.

ويَرْوِي الإمامُ البُخَارِيُّ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَ رَجُلاً من بني إسرائيل، سأل بَعْضَ بني إسرائيل أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ.

فقال: ائْتِني بالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ.

قال: كَفَى بالله شَهِيداً.

قال: فائْتِنِي بالكَفِيلِ.

قال: كَفَى بالله كفيلاً.

قال: صَدَقْتَ.

فَدَفَعَهُمْ إليه إلى أَجَلٍ مُسَمًّى.

فخَرَجَ إلى البَحْرِ، فقَضَى حَاجَتَه، ثم الْتَمَسَ مَرْكباً يَقْدُمُ عليه في الأَجَلِ الّذي له فلم يَجِدْ، فاتَّخَذَ خَشَبَةً فنَقَرَها، وأَدْخَلَ فيها أَلْفَ دينار، وصَحِيفَةً (رِسَالَةً) منه إلى صَاحِبِهِ، ثم زَجَّجَ (سَدَّ) مَوْضِعَها، ثم أَتَى بها البَحْرَ، ثم قال: اللَّهُمَّ إنَّك تعلمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ من فُلانٍ أَلْفَ دينار فسألني شَهِيداً، فقُلْتُ كَفَى باللَّهِ شَهِيداً، فَرَضِيَ بك شَهِيداً، وسأَلَنِي كفيلاً، فقلتُ كَفَى بالله كفيلاً، فَرَضِيَ بِكَ كفيلاً، وإنِّي جَهِدْتُ أنْ أَجِدَ مَرْكباً فلم أَجِدْ، وإنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا.

فرَمَى بها في البَحْرِ. ولَجَّتْ فيه.

ثم انْصَرَفَ وهو في ذلك يَلْتَمِسُ مَرْكباً يخرجُ عليه.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الّذي كان أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لعَلَّ مركباً قد جاءَ بمَالِهِ، فإذا الخَشَبَةُ الّتي فيها المالُ، فأَخَذَها لأَهْلِه حَطَباً،

فلمّا نَشَرَها وَجَدَ المَالَ والصَّحِيفَةَ.

ثم قَدِمَ الَّذي كان أَسْلَفَهُ، فأَتَى بأَلْفِ دينارٍ وقَالَ: ما زِلْتُ جاهداً في طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيكَ بمَالِكَ فما وَجَدْتُ مَرْكباً قَبْلَ الَّذي أَتَيْتُ فيه.

قال: قد بَعَثْتَ إليّ بشَيْءٍ؟

قال: أُخْبِرُكَ أَنّي لم أَجِدْ مركباً قبل الَّذي جِئْتُ فيه.

قال: فإنَّ الله تَعَالَى قد أَدَّى عَنْكَ الَّذي بَعَثْتَ في الخَشَبَةِ، فانْصَرِفْ بالألْفِ دِينَارٍ راشداً.

وهكذا يا أصدقائي نُلاحِظُ هذا الإيمانَ والثِّقَةَ بالله، منذ بداية الحَدِيثِ إلى نِهَايَتِهِ.

ولعَلَّنا نستفيدُ كثيراً مِنْ هذا الحديث، حيث نَجِدُ الإخلاصَ، والصِّدْقَ، والوَفاءَ، والإيثارَ، وحُبَّ العَطَاءِ.

فعندما احْتَاجَ الرَّجُلُ إلى مَبْلَغٍ من المَالِ لَجَأَ إلى رَجُلٍ تَوَسَّمَ فيه الخَيْرَ، ولم يَلْجأْ إلى غيره، فلَبّى الرَّجُلُ النِّداءَ، ووَافَقَ على الفَوْرِ وأعطاهُ المَالَ إلى أَجَلٍ مُحَدَّدٍ، فأَسْرَعَ الرجلُ ليُتَاجِرَ بهذا المالِ في بلادٍ بعيدةٍ، وعندما تَوَفَّرَ عندَه المالُ اللاّزمُ المستحقُّ بالأجلِ، سَارَعَ إلى البَحْرِ

بَحْثاً عن مَرْكَبٍ يَعُودُ به إلى دِيَارِهِ، من دُون تَلَكُّؤٍ أو تَأْخِيرٍ، وكان بإمكانه أنْ يَحْتَفِظَ بالمَالِ، ولا يُرْسِلَهُ إلى الرَّجلِ لأنه لا يَمْلِكُ دليلاً مَادِّيّاً يَجْعَلُهُ يطالبُه بالمالِ.

ولكنَّ الإيمانَ يا أصدقائي يفعلُ الأعاجِيبَ.

عندما لم يَجِدْ مركباً رَمَى المَالَ في البَحْرِ، فلْنَنْظُرْ يا أَصْدِقَائي إلى هذا العَمَلِ، يَرْمِي أَلْفَ دينار لأنَّ الأَجَلَ قد حَلَّ، دون خَوْفٍ من ضَيَاعِ المَال أو أنْ يأْخُذَهُ أَحَدٌ من النّاسِ.

وساقَهُ اللَّهُ سبحانَهُ إلى الرَّجُلِ؛ لأنَّ الإيمانَ الذي غَلَّفَ قَلْبَيْهِمَا واعْتِمَادَهُما التَّامَّ على الله جَعَلَهُما يَفِرَّانِ إليه وَيَثِقَانِ به، فلم يَخْذِلْهُما فهو رَؤوفٌ رَحِيمٌ بعِبَادِهِ.

ونَلْمَحُ مِنْ جانبٍ آخَرَ يا أحِبَّائي أنَّ الرَّجُلَ عندما عَادَ لم يُخْبِرْ صَاحِبَهُ بأنّه أرسلَ إليه المَالَ وأراد أنْ يُعْطِيَهُ الألْفَ دِينَارٍ، فأخْبَرَهُ بوُصُولها، وكان بإمكانه أنْ يَكْذِبَ عليه وألاّ يَكْشِفَ له الحَقِيقَةَ، ولكنْ هَيْهَاتَ، فاللَّهُ مُطَّلِعٌ على كُلِّ كلمةٍ يقولُها وكُلِّ عَمَلٍ يفعلُه.

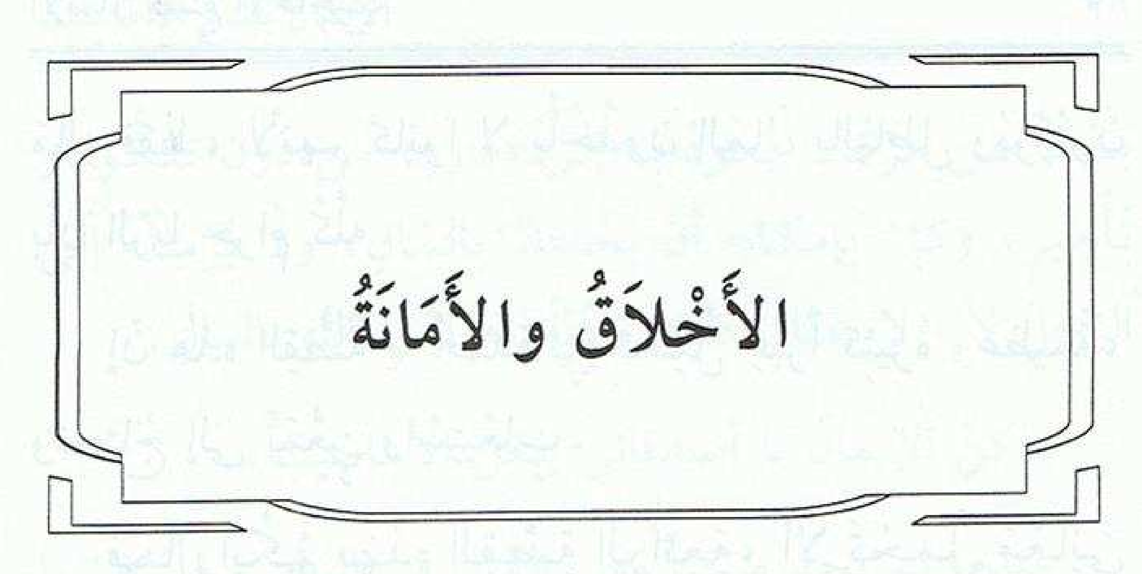
كذلك يا أصدقائي نلاحظُ أنّ الرَّجُلَ لم يَطْلُبْ مالاً زيادةً، ولم يَسْأَلْهُ عن الأرْبَاحِ التي حَقَّقَها، بل أَخَذَ رَأْسَ

مَالِهِ فقط، لأنهم كانوا لا يَأْخُذُون المَالَ بالبَاطِلِ ويُوقِنُونَ بأن الرِّبَا حرامٌ كُلُّه.

إنّ هذه القِصَّةَ يا أصدقائي تَحْمِلُ عِبَراً كثيرةً وعظيمةً، وتحتاجُ إلى تَمَعُّنٍ واسْتِيعَابٍ.

فما رأيكُمْ بهذه القِصَّةِ الرائعةِ، ألا تَحْمِلُ مَعَانِيَ جَمِيلةً ومفيدةً؟!

إنَّنا اليوم نحتاجُ إلى فَهْم هذه المعاني والعَمَلِ بها، والثِّقَةِ بالله، لا بالأَقْوَال بل بالأَفْعَالِ، عند ذلك نَستطيعُ أن نكونَ مِثْلَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَصَّ علينا رَسُولُ الله ﷺ قِصَّتَهُما الخَالِدَةَ.



الأَخْلاقُ والأَمَانَةُ

الأَخْلاقُ ميزانُ الإنْسَانِ، على كَفَّتَيْهِ نَسْتَبِينُ الفَاضِلَ مِنَ الجاني، والأَمَانَةُ دَيْدَنُ الصَّالحين، وسِمَةُ المُخْلِصِينَ، ولْنَنْظُرْ إلى ما يَتَحلَّى به صَحَابَةُ رَسُولِنَا الكريم مِنْ إخلاصٍ في العَمَلِ، وصِدْقٍ في السَّرِيرَةِ، ووَفَاءٍ بالعَهْدِ.

فقد كان الوَرَعُ يَحْكُمُ كُلَّ حَرَكَاتِهم وسَكَنَاتِهِم، ولْنَسْتَمِعْ يا أصدقائي إلى هذه الحادثةِ التي تَدُلُّ على قِمَّةِ النُّبْلِ والأخْلاقِ والأمانةِ.

فنحن نَعْلَمُ أنَّ الخَلِيفَةَ الراشديَّ الثاني عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، اتَّسَعَتْ على يَدَيْه دولةُ الخِلافَةِ، وامتلأَتْ خزائنُ بَيْتِ مَالِ المُسْلمين بالأموال والجَوَاهِرِ، وكان بإمكان عُمَرَ أنْ يَأْخُذَ ما يشاءُ، وَقْتَمَا يشاءُ، دون أنْ يُحَاسِبَهُ أَحَدٌ من النَّاسِ.

لكنَّ عُمَرَ يا أَحِبَّائي، لم يكن يعتبرُ أنَّ هذا المالَ حَقٌّ

له، ولا يملكُ أنْ يَسْتَفِيدَ منه لغَايَةٍ شَخْصِيَّةٍ، ففي أَحَدِ الأَيَّام، كان عُمَرُ بحاجةٍ إلى مبلغٍ مِنَ المَالِ، فطَلَبَ إلى الصَّحابيِّ الجليلِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ، وهو أَحَدُ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بالجَنَّة، أنْ يُقرِضَهُ أربعمائة دِرْهَمٍ، فقال عَبْدُ الرَّحْمٰنِ رضي الله عنه:

أَتَسْتَقْرِضُني وعندك بَيْتُ مَالِ المُسْلمين؟ أَمَا بِوُسْعِكَ أَخْذُ المَبْلَغِ وتَرُدُّهُ فيما بَعْدُ؟

فقال عُمَرُ كَلِمَةَ الرَّجُلِ الوَاثِقِ المؤمن:

إنِّي أَخْشَى أنْ يُصِيبَني قَدَرِي، فتقول وأصحابك، دَعُوا هذا لأمير المؤمنين، حَتَّى يُؤْخَذَ من ميراثي يَوْمَ القيامة، ولكنِّي أَسْتَقْرِضُكَ لِمَا أعلمُ من شُحِّكَ، فإذا مِتُّ جِئْتَ تَسْتَوْفِيها مِنْ ميراثي.

ولْنَنْظُرْ يا أَحِبَّائي إلى أخلاق عليِّ بْنِ أبي طالِبٍ رضي الله عنه، التي هي مِثَالٌ رَاقٍ، ونَمُوذَجٌ أَمْثَلُ، يرفعُ اسْمَ هذا الرَّجُلِ عالياً، كأَرْوَعِ ما شَاهَدَتْهُ الإنسانيَّةُ.

فقد اسْتَعْدَى «شَكَا» رجلٌ عَلَى عليِّ بْنِ أبي طالِبٍ، أَمَامَ الخَليفَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، رضي الله عنهما، وعَلِيٌّ جالسٌ، فالْتَفَتَ إلَيْهِ وقال: قُمْ يا أبا الحَسَنِ فاجْلِس مَعَ

خَصْمِكَ! فقام وجَلَسَ معه، وتَنَاظَرا، ثم انْصَرَفَ الرجلُ.

ورَجَعَ عليٌّ إلى مكانه، فتَبَيَّنَ عُمَرُ التَّغْيِيرَ في وَجْهِهِ، فقَالَ: يا أبا الحَسَنِ، ما لي أَرَاكَ مُتَغَيِّراً، أَكَرِهْتَ ما كانَ؟ قال: نَعَمْ. قال: وما ذاكَ؟ قال: كَنَّيْتَني بحَضْرَةِ خَصْمِي، هَلاَّ قُلْتَ: قُمْ يا عَلِيُّ فاجْلِسْ مَعَ خَصْمِكَ!

فاعْتَنَقَ عُمَرُ عَلِيّاً وجَعَلَ يُقَبِّلُ وَجْهَهُ، وقال: بأبي أَنْتُمْ! بكم هَدَانا الله، وبكُمْ أَخْرَجَنا مِنَ الظُّلُماتِ.

ومِنَ القَصَصِ الرَّائعة في تُرَاثِنا المَجِيدِ، ما رُوِيَ عن خِلافٍ بسيطٍ وَقَعَ بين الحُسَيْنِ بْنِ عليٍّ وبين أخيه مُحَمَّدٍ رضي الله عنهما، فانْصَرَفا مُتَغَاضِبَيْنِ، ولمَّا وَصَلَ مُحَمَّدُ ابْنُ الحَنَفِيَّةِ إلى مَنْزِلِهِ، أَخَذَ رُقْعَةً وكَتَبَ عليها: مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عليٍّ إلى أخِيهِ الحُسَيْنِ، أَمَّا بَعْدُ، فإنَّ لك شَرَفاً لا أَبْلُغُهُ، وفَضْلاً لا أُدْرِكُهُ، فإذا قَرَأْتَ خِطَابي هذا، فالْبَسْ رِدَاءَكَ، وسِرْ إليَّ وتَرَضَّنِي، وإيَّاكَ أنْ أَكُونَ سَابِقَكَ إلى الفَضْلِ، الَّذي أَنْتَ أَوْلَى به مِنِّي.

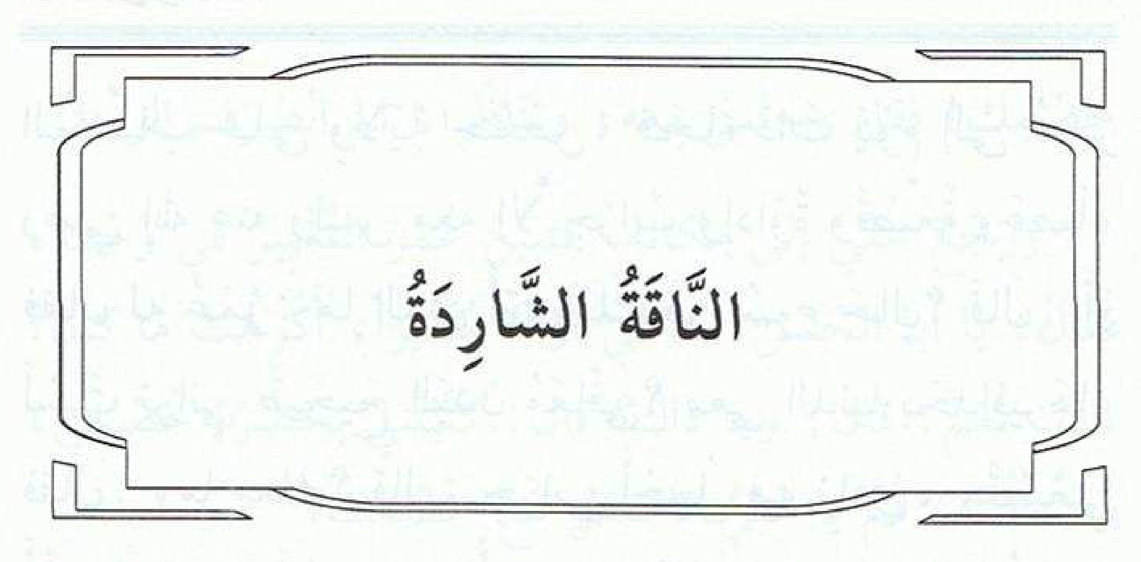
فلمَّا قَرَأَ الحُسَيْنُ الخِطَابَ لَبِسَ رِدَاءَهُ وقَصَدَ أخاه وتَرَضَّاهُ.

ويُرْوَى يا أصدقائي أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ سَعْدٍ كان والياً لعُمَرَ بْنِ

الخَطَّاب على وِلايَةِ حِمْص، فجَاءَ ذَاتَ يَوْم إلى عُمَرَ رضي الله عنه وليس معه إلاَّ جِرَابٌ وإِدَاوَةٌ وقَصْعَةٌ وعَصاً، فقال له عُمَرُ: ما الذي أَرَى بِكَ من سُوءِ حَالٍ؟ قَالَ: أَوَ لَسْتَ تراني صَحِيحَ البَدَنِ مُعَافًى؟ معي الدنيا بحَذَافِيرِهَا، فقال: وما معك؟ قال: جِرَابي أَحْمِلُ فيه زادي، وقَصْعَتِي أَغْسِلُ فيها ثَوْبي، ورَأْسِي، وإِدَاوَتي فيها ماءٌ لِشُرْبي ووُضُوئي، ومعي عَصَايَ إنْ لقيتُ عَدُوّاً دافعتُ بها، وما تَبَقَّى مِنَ الدُّنْيا تَبَعٌ لِمَا معي، قال عُمَرُ: صَدَقْتَ.

ورُئِيَ عُمَرُ رضي الله عنه يَلْبَسُ قميصاً خَشِناً ثَمَنُهُ أربعةُ دراهِمَ، فقيل له: أَنْتَ أَمِيرُ المؤمنين وتَلْبَسُ الخَشِنَ مِنَ الثِّيَابِ؟ فقال عُمَرُ: إنِّي أَخْشَى أنْ أُسْأَلَ عن لِينِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ. فبَكَى غُلامُهُ سالمٌ وقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي رأيتُكَ قَبْلَ الخِلافَةِ تَلْبَسُ ثوباً بأربعين ديناراً، فاسْتَخْشَنْتُه، فقال: إنِّي كُنْتُ لم أَنَلْ شيئاً إلاَّ طلبتُ ما فَوْقَهُ، فلما نِلْتُ الخِلافَةَ عَلِمْتُ أَنْ ليس فَوْقَها إلاَّ الجَنَّةُ، فَدَعْنِي أَطْلُبُها.

وقد قال سالمٌ مَوْلَى عُمَرَ بعد ذلك: قَوَّمْتُ ثِيَابَ أمير المؤمنين وهو خليفةٌ باثْنَيْ عَشَرَ دِرْهماً، قَمِيصَهُ وخُفَّهُ وعِمَامَتَهُ وسَرَاويلَهُ وقَلَنْسُوَتَهُ.



النَّاقَةُ الشَّارِدَةُ

الرَّحْمَةُ يا أَصْدِقَائي أَنْبَلُ الصِّفَاتِ الَّتي يَجِبُ أنْ يَتَمَتَّعَ بها الصَّغِيرُ والكَبِيرُ، والرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، ومعاملةُ النَّاسِ بالرَّأْفَةِ والسَّمَاحَةِ لا يعني ذلك تَحْقيراً لنَفْسِكَ أو إهانةً لها، لأنَّ العَفْوَ عند المَقْدِرَةِ لا يزيدُ الإنْسَانَ الحَلِيمَ إلا رُقِيّاً في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ.

ولا شَكَّ أبداً أَنَّكم لا تُؤْذُونَ حَتَّى قِطَّةً صغيرةً، حتَّى النَّبَاتُ الَّذي لا يَشْعُرُ يَجِبُ أَلاَّ نُؤْذِيَهُ دون فائدةٍ، فقد نُهِينا نحن المُسْلِمِينَ أنْ نَقْتُلَ عُصْفُوراً للتَّسْلِيَةِ أو نَقْطَعَ شَجَرَةً لمُجَرَّدِ اللَّهْوِ.

الرحمةُ عُنْوانُ الإنسانيَّةِ، والرَّدُّ على المُسِيءِ بالإحسانِ يُضْفِي على الإنسانِ بَهاءً ولا أَرْوَعَ.

ولْنَنْظُرْ يا أَصْدِقَائي إلى هذه القِصَّةِ المُدْهِشَةِ، والَّتي جَرَتْ مَعَ رَسُولنا الكريمِ، وأَصْحَابُهُ مِنْ حَوْلِهِ يُرَاقِبُونَ

أفعالَه وأقوالَه العظيمةَ.

هيَّا بنا نَستَمِع إلى هذه الحادثةِ، ثم نَتَدارَسُها، ونحاولُ أنْ نُطَبِّقَها في حياتنا، وفي كُلِّ أُمُورِنَا، فمنها تَفُوحُ رائحةُ المِسْكِ الآتي من جَنَباتِ السِّيرَةِ الطَّاهرةِ.

كان الرَّسُولُ الكريمُ جالساً في المَسْجِدِ وحولَهُ كِبَارُ الصَّحَابَةِ منهم أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وعَلِيٌّ، فدَخَلَ الحَلَقَةَ رَجُلٌ من أهل البادية ورَاحَ يقولُ بغِلْظَةٍ ودون احْتِرَامٍ:

- يا مُحَمَّدُ، أَعْطِني ممَّا أعطاكَ الله.

يا للغَرَابَةِ، أيُخَاطَبُ خَيْرُ البَشَرِ بهذا الأسلوبِ الفَظِّ!؟ لقد هَزَّ أسلوبُه هذا الصَّحَابَةَ الكِرَامَ، وظَهَرَ عَلَيْهِمُ الغَضَبُ، فأشارُ إليهم رسولُ الله ﷺ أَنِ اهْدَأُوا.

ثم دَخَلَ إلى بَيْتِهِ وأَخْرَجَ للسَّائل بَعْضَ المَالِ والطَّعَامِ، وقال: هل أَحْسَنْتُ إليكَ؟

فقال الأعرابيُّ: لا.. ولا أَجْمَلْتَ «أي ما صَنَعْتَ معروفاً».

يا سُبْحَانَ الله، إنَّ هذه الكَلِمَةَ جَعَلَتِ الصَّحابةَ الكِرَامَ

يَقِفُونَ غَاضِبِينَ وأَيْدِيهِمْ إلى مَقَابِضِ سُيُوفِهِمْ، فالأعرابيُّ أَهَانَ رَسُولَ الله بين أصحابه.

فمَنَعَهُمُ الرَّسُولُ الحَلِيمُ مِنَ القِيَام بأيِّ عَمَلٍ، فتفَرَّقُوا، ثم أَعْطَى الرَّجُلَ وقال له: والآن هَلْ أحسنتُ إليكَ؟

فقال الرجل بهُدُوءٍ ورِضًى: نَعَمْ، فجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْراً.

فقال الرَّسُولُ ﷺ:

لقد قُلْتَ ما قُلْتَ، وفي نُفُوسِ أصْحَابي منكَ شَيْءٌ، فإذا كان الغَدُ فتعَالَ وقُلْ أَمَامَهُمْ إنك قد قَنِعْتَ ورَضِيتَ، فذلك أَحْسَنُ وَأَوْفَقُ، وأَسْلَمُ لكَ ولهم.

وفي اليوم التّالي جاء البدويُّ إلى المسجدِ، وجَلَسَ مع صَحَابَةِ رَسُولِ الله ﷺ، كواحدٍ منهم، يَلُفُّهُ الحَيَاءُ ويَكْسُوهُ الخَجَلُ، ويَنْظُرُ إلى الأرْضِ.

فدعاه الرَّسُولُ إلى جِوَارِهِ، ثم قال:

لقد زِدْتُ صَاحِبَنا هذا على ما أَعْطَيْنَاهُ مِنْ قَبْلُ، فزَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ، فطلبتُ إليه أنْ يقولَ ذلك أمامَكم. ثم الْتَفَتَ إلى البدويِّ وقال: أليس كذلكَ؟ فقال: نَعَمْ يا رَسُولَ

الله، فجزاكَ الله مِنْ أَهْلٍ وعَشِيرَةٍ خيراً.

فابْتَسَمَ النبيُّ ﷺ وقال: إنَّمَا مَثَلي ومَثَلُكُم ومَثَلُ هذا الرَّجُلِ كَمَثَلِ رَجُلٍ شَرَدَتْ له ناقةٌ، قَطَعَتْ زِمَامَها، وانطلقتْ هاربةً، فأرادَ بعضُ الناسِ أنْ يُسَاعِدُوه على الإمساكِ بها، فقاموا يُلاحِقُونَها من هنا وهناك، فما زَادُوها إلا ابتعاداً ونُفُوراً. فقال صاحِبُها للنَّاسِ: يا مَعْشَرَ النَّاسِ، كُفُّوا عن المُلاحَقَةِ، وخَلُّوا بيني وبين ناقتي فأنا أَدْرَى بها منكم وأَعْلَمُ، فتوقَّفُوا عن المتابعة والجَرْي، ثم إنَّ الرَّجُلَ جَمَعَ بيده شيئاً من نَبَاتِ الأرْضِ، وتَقَدَّمَ على مَهَلٍ مِنَ النَّاقة، يُلَوِّحُ لها بما يَحْمِلُ، حتَّى ارْتَدَّتْ إليه هادئةً مُسْتَسْلِمَةً، فأَمْسَكَ بزِمَامِها وعَادَ بها.

ثم قال رَسُولُنا العَظِيمُ:

فلو تَرَكْتُكُمْ بالأمْسِ تَفْعَلُونَ ما تُريدون وقَتَلْتُمُ الرَّجُلَ لبُؤْتُم بإثْمِهِ، وتَحَمَّلْتُم دَمَهُ.

التَّوَاضُعُ مِنْ أَخْلاَقِ الصَّالِحِينَ

التَّوَاضُعُ يا أَصْدِقائي يُشِيرُ إلى الرِّفْعَةِ والقَدْرِ العالي، فكُلَّما تَواضَعَ الإنسانُ مَعَ قُدْرَتِهِ وسُلْطانه احْتَرَمَهُ الناسُ ونَالَ عند الله المكانَةَ العُلْيا.

والتَّواضعُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ الصَّافية المُؤْمِنَةِ، الَّتي تُدْرِكُ وتُؤْمِنُ أَنَّ ما مِنْ أَحَدٍ تَواضَعَ لله إلاَّ رَفَعَهُ.

وقَدِ اخْتَرْتُ لكم بَعْضَ الأحْدَاثِ الَّتي مَرَّتْ في تارِيخِنا العظيمِ. ولْنَرَ معاً كيف كان تواضعُ الرِّجالِ الكِبارِ:

لما تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ فَكَّرَ الصحابةُ فيمن يَلي أُمُورَ المُسْلمين، وكانوا يَزْهَدُون في الوِلاَيَةِ، ويُعْرِضُونَ عنها، فقال عُمَرُ لأبي بَكْرٍ ـ رضي الله عنهما ـ أَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بالخِلافة وأَوْلاَهُمْ بالولاية إنَّك أَفْضَلُهُمْ، فأجَابَ أبو بَكْرٍ: أَنْتَ أَحَقُّ بها يا عُمَرُ لأنك أَقْوَاهُم، فقال عُمَرُ: إنَّ قُوَّتي

لَكَ مَعَ فَضْلِكَ يا أبا بكر.

فانْظُرْ يا صديقي إلى هذا التَّوَاضُعِ ورَفْضِ الوِلاَيَةِ باعتبارها أَمَانَةً لا فَخراً وتشريفاً.

وقد كان أبو بَكْر يَحْلُبُ للقَوْمِ أَغْنامَهُم، وكانت أملاكُ العَرَبِ مُعْظَمُها مِنَ الغنم والإِبِلِ، وكان ذلك في أيَّام النَّبيِّ ﷺ. ولما تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وتَوَلَّى أبو بكر الخِلافَةَ، قالت جاريةٌ: والآن مَنْ يَحْلُبُ لنا الغَنَمَ؟ وهي تَعْني أَنَّ أبا بَكْرٍ أَصْبَحَ عظيماً وأَكْبَرَ مِنْ أنْ يَحْلُبَ الغَنَمَ.

وسَمِعَ أبو بكر قَوْلَها فقال: لأَحْلُبَنَّها لكم، وأَرْجُو اللَّهَ أَلاَّ يُغَيِّرَني ما دَخَلْتُ فيه من الخِلافَةِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ فيه. فكان - رضي الله عنه - يَحْلُبُ لهم بعد ذلك.

ومِمَّا ذُكِرَ نعلمُ أَنَّ أبا بكر رغم أَنَّهُ أَعْظَمُ رَجُلٍ في عَصرِه إلاَّ أنّه كان يَحْلُبُ الغَنَمَ لجيرانِهِ وقَوْمِهِ، وهذا دَليلٌ على تَوَاضُعِه وعَدَمِ تَعاظُمِهِ وتَكَبُّرِهِ، وهكذا تكونُ الأخلاقُ الشريفةُ الكَرِيمةُ، وقد سُئِلَ بعضُ التَّابعين: هل رَأَيْتَ أبا بكر؟ قال: نَعَمْ، رأيتُ مَلِكاً في زِيِّ مِسْكِينٍ.

وكان عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب - رضي الله عنه - بينه وبين رَجُلٍ كلامٌ في شَيْءٍ، فقال له الرجلُ: اتَّقِ اللَّهَ! فقال

رَجُلٌ مِنَ القَوْم: أتقولُ لأمير المؤمنين اتَّقِ الله؟ فقال عُمَرُ: دَعْهُ فَلْيَقُلْها لي، نِعْمَ ما قَالَ، لا خَيْرَ فيكم إذا لم تَقُولُوها ولا خَيْرَ فينا إذا لم نَقْبَلْها.

وقول عُمَرَ يا أصدقائي ليس مِنْ قَبِيلِ التَّوَاضُع فَقَطْ، بل أيضاً من قَبِيلِ العِلْم بوُجُوبِ النَّصِيحَةِ على المُسْلِمِينَ لأنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، وبوُجُوب انْتِصَاحِ الإمام منهم ورضاه بنُصْحِهِم وتَذْكِيرِهِم له بالتَّقْوَى والعَدْل.

أما عُثْمَانُ ـ رضي الله عنه ـ فقد كان مِثَالاً عالياً للتَّوَاضُعِ، ومما جَاءَ في أخْبَار تَوَاضُعِه أَنَّ عُثْمَانَ ـ رضي الله عنه ـ كان نائماً في المَسْجِدِ ورِدَاؤُهُ تحت رَأْسِهِ، فيَجِيءُ الرَّجُلُ فيَجْلِسُ إليه، ثم يجيءُ الرجلُ فيجلسُ إليه، ويجيء آخرُ فيجلسُ إليه، كأنه واحدٌ منهم.

وكان عثمانُ ـ رضي الله عنه ـ لا يَتَكَبَّرُ وكان يَلِي وَضُوءَ اللَّيْل بنَفْسِه، فقيل له: لو أَمَرْتَ بَعْضَ الخَدَمِ فَيَكْفِيكَ؟ قال: لا، اللَّيْلُ لهم يَسْتَرِيحُون فيه.

وكان عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ يُوَاسِي الضُّعَفَاءَ ويُجَالِسُ الفُقَرَاءَ ويُسَاعِدُهُم، ويشتري طعامَهُ بنَفْسه ويَحْمِلُهُ، فإذا أراد أَحَدُ أَتْبَاعِهِ حَمْلَهُ عنه قال: أبو العِيَالِ أَحَقُّ بحَمْلِهِ.

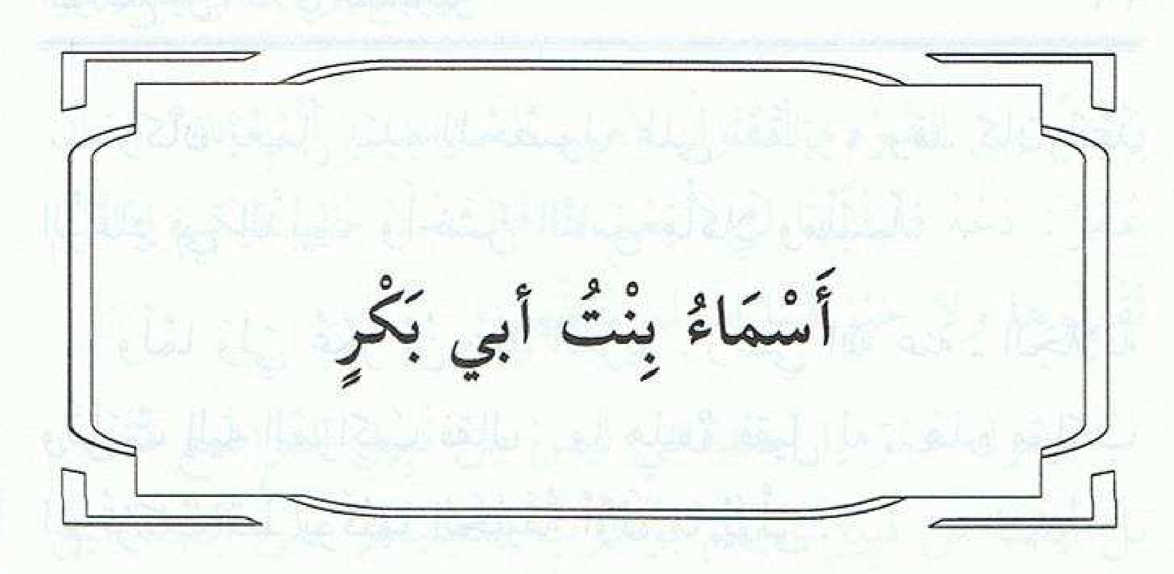
وكان يَعْمَلُ بيَدِهِ للحُصُولِ على نَفَقَاتِهِ، وقد كان سَيِّدَ الزُّهَّادِ في الدُّنْيا، وأَخْشَنَ النَّاسِ مَأْكَلاً ومَلْبَساً.

ولَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ ـ رضي الله عنه ـ الخِلافَةَ وقُرِّبَتْ إليه المَرَاكِبُ فقال: ما هذه؟ فقيل له: هذه مراكِبُ لم تُرْكَبْ قَطُّ يَرْكَبُها الخَلِيفَةُ أَوَّلَ ما يُوَلَّى.

فتَرَكَها وخَرَجَ يَلْتَمِسُ بَغْلَتَهُ، وقال لتَابِعِه: ضُمَّ هذه إلى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمين.

وكان يَتَقَدَّمُ إلى الحَرَسِ إذا خَرَجَ عليهم ويطلبُ منهم ألاَّ يقوموا إليه، ويقول: لا تَبْتَدِئُوني بالسَّلام، إنَّما السَّلامُ علينا لكم.

وقال رَجاءُ بْنُ حَيْوَةَ: سَمَرْتُ لَيْلَةً عند عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العزيز، وبينما نحن نتكلَّمُ إذا بالسِّرَاجِ قد اعْتَلَى، ولم يكن نُورُهُ جَيِّداً، فقُمْتُ أنا أُرِيدُ إصْلاحَ السِّرَاجِ، فأَمَرَني عُمَرُ بالجُلُوسِ؛ ثم قام هو بنفسه، فأَصْلَحَ السِّرَاجَ، ثُمَّ عَادَ فجَلَسَ فقال ـ رضي الله عنه ـ: قُمْتُ وأنا عُمَرُ وجَلَسْتُ وأنا عُمَرُ. ثم قَالَ: ليس مِنْ مُرُوءَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ.



أَسْمَاءُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ

إنَّها نَبْتٌ طَيِّبٌ أَوْرَقَ في رَحِمِ الإسلام.

سَيِّدَةٌ عظيمةٌ مِنْ أَشْرَفِ نِسَاءِ العَرَب، فهي ابنةُ أَقْرَبِ النَّاس إلى رَسُولنا الكَرِيم ﷺ، ورَفِيقِهِ في الغَارِ، وخَلِيفَتِهِ الأَوَّلِ. إنَّها ابنةُ الصِّدِّيقِ الَّذي قادَ الأُمَّةَ من نَصْرٍ إلى نَصْر.

وهي أيضاً شَقِيقَةُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ.

وزَوْجُها الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّام أَحَدُ أَبْطَالِ الإسْلام، وابْنُها الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ.

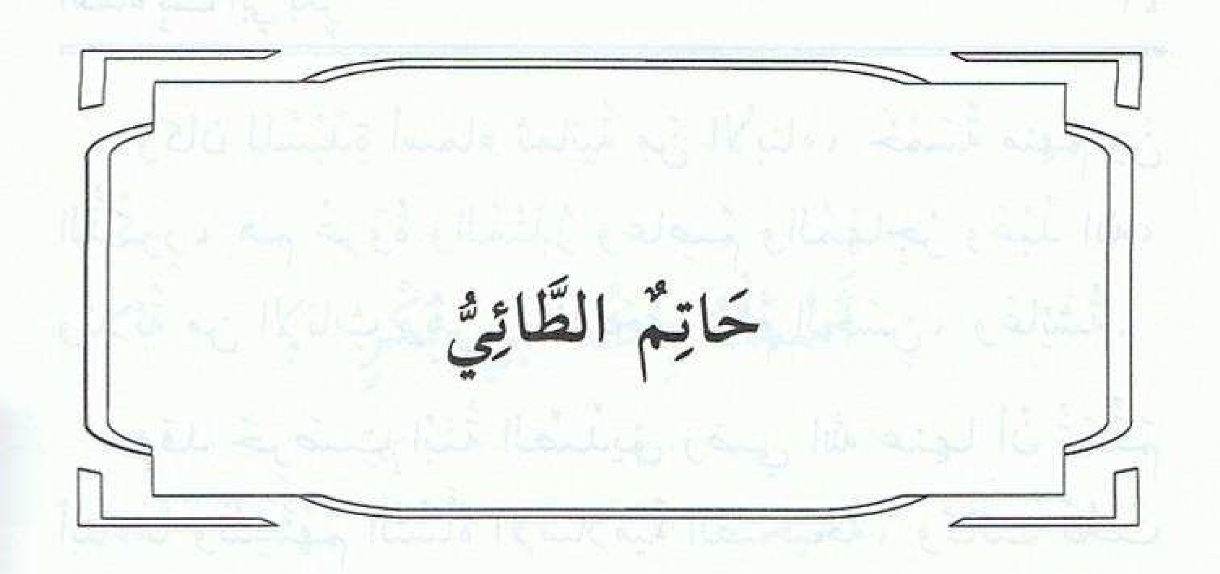
وكانت السيدةُ أسماءُ أُمّاً كريمةً حنونةً على أولادها، تُرَبِّيهِم أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ، لِيُصْبِحُوا من رِجَالاتِ الإسلام، وكان لها ذلك، فالتاريخُ العربيُّ يَعْتَزُّ بهم اعتزازاً شديداً.

وكان للسَّيِّدَةِ أسماءَ ثمانيةٌ مِنَ الأبناء، خَمْسَةٌ منهم مِنَ الذُّكُورِ، هم عُروَةُ والمُنْذِرُ وعَاصِمٌ والمُهَاجِرُ وعَبْدُ الله، وثلاثةٌ من الإناثِ وهُنَّ: خَدِيجَةُ، وأُمُّ الحَسَنِ، وعَائِشَةُ.

وقد حَرِصَتِ ابْنَةُ الصِّدِّيق رضي الله عنها أنْ تُعَلِّمَ أبناءَها وتُنْشِئَهُمُ النَّشْأَةَ الإسلاميَّةَ الصحيحة، وكانت تَحُثُّ ابْنَها عَبْدَ الله منذ أن بَلَغَ السَّادسةَ من عُمُرِهِ على الذَّهَابِ إلى المَسْجِدِ ليَحْظَى بصُحْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وصَحَابَتِهِ الكِرَامِ، كما كانت تُشَجِّعُهُ على الذَّهَاب إلى خَالَتِهِ السَّيِّدَةِ عائشة - رضي الله عنها - لأنها تَعْلَمُ أنَّ مَجَالِسَ السيّدةِ عائشةَ كانت دائماً مَجَالِسَ عِلْمٍ وتَفَقُّهٍ بالدِّينِ.

ولقد أَفَادَ عَبْدُ الله فائدةً عظيمةً من مُجَالَسَتِهِ خَالَتَهُ، الَّتي أَحَبَّتْهُ حُبّاً شديداً، لِدَرَجَةِ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كان يَدْعُوها أحياناً بأُمِّ عَبْدِ الله.

وكانت السيدةُ أسماءُ تُشَجِّعُ جَمِيعَ أبنائها وبَنَاتِهَا على تِلاوَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وحِفْظِهِ، ويُرْوَى أنَّ ابْنَها عَبْدَ الله حَفِظَ القُرْآنَ كُلَّهُ وهو لم يَتَجَاوَزِ السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِهِ.



حَاتِمُ الطَّائِيُّ

وَجَّهَ رَسُولُ الله ﷺ إلى قَبِيلَةِ «طَيِّءٍ» فريقاً من جُنْدِه، يَقْدُمُهُمْ «عَلِيٌّ» كَرَّمَ الله وَجْهَه فَفَزَّعَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطائيِّ قَبِيلَهُ وكان من أَشَدِّ النَّاسِ عِدَاءً لرَسُول الله إلى «الشَّام» فَصَبَّحَ عليٌّ القَوْمَ، واسْتَاقَ خَيْلَهُمْ ونَعَمَهُمْ ورجالَهُم ونِسَاءَهم إلى رَسُول الله ﷺ. فلمَّا عُرِضَ عليه الأَسْرَى نَهَضَتْ مِنْ بين القَوْم سُفَانَةُ بِنْتُ حَاتِم فقالت: يا مُحَمَّدُ، هَلَكَ الوَالِدُ وغَابَ الوَافِدُ، فإنْ رَأَيْتَ أنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ولا تُشَمِّتَ بِيَ أَحْيَاءَ العَرَبِ، فإنَّ أبي كان سَيِّدَ قَوْمِه، يَفُكُّ العَانِي، وَيَقْتُلُ الجَانِي، ويَحْفَظُ الجَارَ، ويَحْمِي الذِّمَارَ، ويُفَرِّجُ عن المَكْرُوبِ، ويُطْعِمُ الطَّعَامَ، ويُفْشِي السَّلامَ، ويَحْمِلُ الكَلَّ، ويُعِينُ على نَوَائِبِ الدَّهْرِ، وما أتاهُ أَحَدٌ في حَاجَةٍ فَرَدَّهُ خائباً، أنا بِنْتُ حَاتِمِ الطَّائِيِّ.

فقال النبيُّ ﷺ: يا جَارِيَةُ هذه صِفَاتُ المؤمنين حَقّاً،

لو كان أَبُوكِ مُسْلماً لترَحَّمْنَا عليه، خَلُّوا عنها، فإنَّ أَبَاها كان يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ.

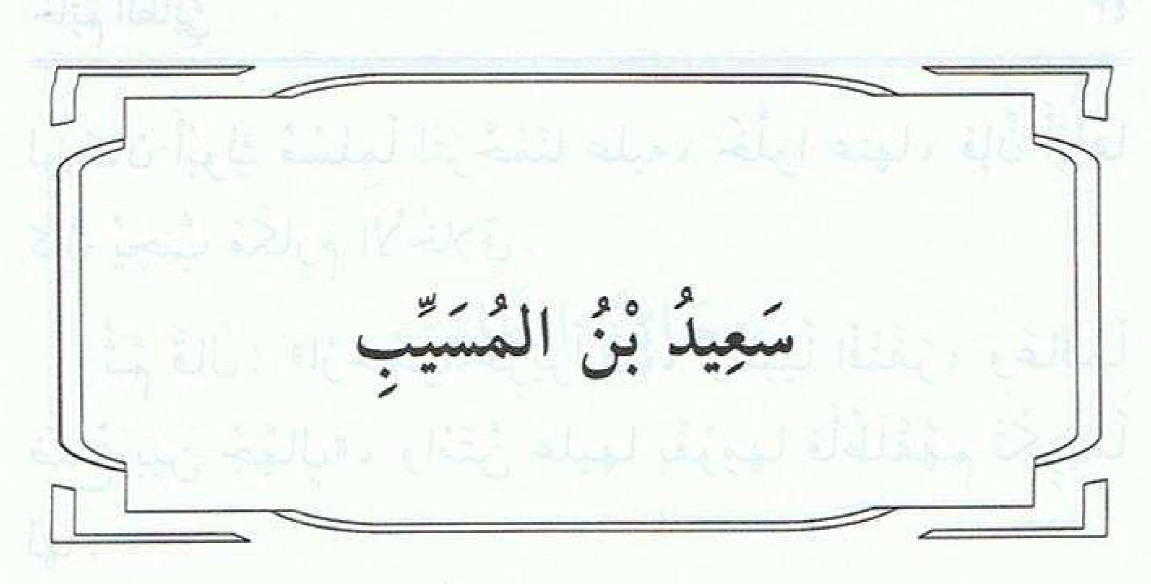
ثُمَّ قَالَ: «ارْحَمُوا عَزِيزاً ذَلَّ، وغَنِيّاً افْتَقَرَ، وعَالِماً ضَاعَ بين جُهَّالٍ»، وامْتَنَّ عليها بقَوْمِها فأَطْلَقَهُم تَكْرِيماً لها.

فاسْتَأْذَنَتْهُ في الدُّعَاءِ له، فأَذِنَ لها وقَالَ لأَصْحَابِهِ: «اسْمَعُوا وَعُوا».

فقالتْ: أَصَابَ الله بِبِرِّكَ مَوَاقِعَهُ، ولا جَعَلَ لكَ إلى لَئِيمٍ حَاجَةً، ولا سَلَبَ نِعْمَةً عن كَرِيمِ قَوْمٍ إلاَّ جَعَلَكَ سَبَباً في رَدِّها عليه.

فلمَّا أَطْلَقَها رَجَعَتْ إلى أَخِيها عَدِيٍّ فقالتْ له: يا أَخي ائْتِ هذا الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ تَعْلَقَكَ حَبَائِلُهُ، فإنِّي قد رأيتُ هَدْياً ورَأْياً سيَغْلِبُ أَهْلَ الغَلَبَةِ، ورأيتُ خِصَالاً تُعْجِبُنِي: رأيتُه يُحِبُّ الفقيرَ، ويَفُكُّ الأَسِيرَ، ويَرْحَمُ الصَّغِيرَ، ويَعْرِفُ قَدْرَ الكَبِيرِ، وما رأيتُ أَجْوَدَ ولا أَكْرَمَ منه، فإنْ يَكُنْ نَبِيّاً فللسَّابِقِ فَضْلُهُ، وإنْ يَكُنْ مَلِكاً فلنْ تَزَالَ في عِزِّ مُلْكِهِ.

فقَدِمَ عَدِيٌّ إلى رَسُولِ الله ﷺ فأَسْلَمَ وأَسْلَمَتْ سُفَانَةُ.



سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ

كان عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ على عِظَمِ قَدْرِهِ ومَكَانَتِهِ إذا سُئِلَ عَنْ أَمْرٍ يُشْكِلُ عليه يقول: سَلُوا سعيداً فقد جَالَسَ الصَّالِحِينَ.

إنَّ هذا الرَّجُلَ يا أَحِبَّائي من عُلَمَاء الأُمَّةِ الذين تركوا لنا هذا التَّاريخَ الخَصْبَ الحَافِلَ بأَحْداثٍ وذِكْرَياتٍ عَطِرَةٍ طَيِّبَةٍ تَفُوحُ مِسْكاً وتَقْطُرُ شَهْداً.

إنَّه رجلٌ عاشَ حياتَه كريماً شُجَاعاً لا يَهابُ أحداً ولا يَخْشَى قَوْلَ الحَقِّ ولو أَدَّى ذلك إلى حَتْفِهِ.

كان عنيداً صَلْباً مَعَ الظَّالمين، حَمَلاً وَدِيعاً مَعَ المساكينَ الطَّيِّبِينَ، يَهُونُ عنده المالُ، وتَرْخُصُ عنده المكانةُ والسُّلْطَةُ والنَّسَبُ.

كان رضي الله عنه فَقِيهاً من الفُقَهَاء، مُحَدِّثاً من المُحَدِّثِينَ، وكانت المدينةُ المُنَوَّرَةُ في زَمَنِهِ زَاخِرَةً بأَعْلَامِ

الإسْلامِ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِنَا الكَرِيمِ عليه أفضلُ الصَّلاة والسَّلام، فسَمِعَ الحَدِيثَ من عَلِيٍّ رضي الله عنه، وعَائِشَة وأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما، أمّا أبو هُرَيْرَة، شَيْخُ المُحَدِّثِينَ، فقد لَزِمَ سعيدٌ مَجْلِسَهُ وبَلَغَ مِنْ إجْلالِهِ له أنْ سَعَى إلى مُصَاهَرَتِهِ بالزَّوَاجِ مِنَ ابْنَتِهِ.

وقد كانت حياةُ سَعيدِ بْنِ المُسَيِّبِ مِثَالاً تطبيقيّاً لِمَا وَعَى عليه من عِلْمٍ وأَخْلاقٍ عاليةٍ.

ويُرْوَى أَنَّهُ كان يَحُثُّ على الكِفَاح في الحَيَاةِ، ويَنْهَى عَنِ الانْقِطَاعِ للعِبَادَةِ.

وقال له مَوْلاهُ بُرْدٌ يوماً: ما رأيتُ أَحْسَنَ ممَّا يصنعُ هؤلاء!

فقال سعيدٌ: ما يَصْنَعُونَ؟

قال: يُصَلِّي أَحَدُهُمُ الظُّهْرَ ثمّ لا يزال صَافّاً رِجْلَيْهِ يُصَلِّي حتّى العَصْرِ.

فقال: وَيْحَكَ يا بُرْدُ، ما العبادةُ هذه، إنَّما العبادةُ الكَفُّ عن مَحَارِمِ الله، والتَّفَكُّرُ في أَمْرِهِ.

وهكذا، فالعابدُ التَّقِيُّ هو الَّذي يَسْعَى إلى رِزْقِهِ مُجْتَنِباً

مَحَارِمَ رَبِّهِ ولنْ تَنْفَعَهُ عبادتُه وأمعاؤه تتلَوّى وأطفالُه يَتَضوَّرُونَ جُوعاً.

وإيمانُ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ بالعَمَلِ جَعَلَهُ يَرْفُضُ عطاءَه من بَيْتِ المالِ، وكان يتاجرُ بالزَّيْتِ لِيَكْسِبَ ما يكفيه.

ومَوْقِفُهُ من الأُمَوِيِّينَ والزُّبَيْرِيِّينَ مشهورٌ: فقد وَقَفَ ضِدَّ الفريقين لأنَّ الخلافةَ في نَظَرِه قد انْحَرَفَتْ عن نَهْجِهَا الذي عَرَفَهُ أيّامَ أبي بكر وعُمَرَ وعُثْمَانَ وعليٍّ وأصبحت مُلْكاً عَضُوضاً، وحاولَ كُلٌّ منهما أنْ يَسْتَمِيلَهُ إلى جانبه، ولكنَّه أَبى ورَضِيَ بما هو فيه، وكان دَوْماً مُسْتَعِداً لأن يقول كَلِمَةَ الحَقِّ.

وبَنُو أُمَيَّةَ، وهُمْ بُنَاةُ دَوْلَةٍ، لم تَنْجَحْ وَسَائِلُهُمْ مع سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، ودَفَعَتِ السياسةُ عَبْدَ المَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ إلى أنْ يُرْسِلَ إلى سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ يَخْطُبُ منه ابْنَتَهُ لوليِّ عَهْدِهِ الوَلِيدِ، لِيَكْسِبَ بذلك مَحَبَّةَ العَامَّةِ الّذين كانوا يَلْتَفُّونَ حول سَعِيدٍ ويُعَظِّمُونَهُ، ولكنَّ سَعِيدَ بْنَ المُسَيِّبِ يَسْتَبْشِعُ هذا الطَّلَبَ، ويَرْفُضُ أنْ تُصْبِحَ ابْنَتُهُ زَوْجَةً لخليفةِ المُسْتَقْبَلِ، فيَزِفُّ ابْنَتَهُ إلى طَالِبِ عِلْمٍ فَقِيرٍ من تلاميذِه لا يملكُ أَكْثَرَ مِنْ قُوتِ يَوْمِهِ.

ولما رَأى عَبْدُ الملك بْنُ مَرْوَانَ أنَّ سِيَاسَةَ اللِّينِ هذه لم تَنْفَعْ معه، لَجَأَ إلى سِيَاسَةِ القُوَّة: فأرسل إلى وَالِيهِ على المدينةِ يَأْمُرُهُ بِأَخْذِ البَيْعَةِ للوَلِيدِ ابْنِهِ، ولكن سَعِيدَ بْنَ المُسَيِّبِ يَرْفُضُ، ويُهَدِّدُهُ الوالي بضَرْب عُنُقِهِ، فلا يَحِيدُ عن مَوْقِفِهِ، وأخيراً يَعْرِضُ عليه الوالي مَوْقفاً مِنْ ثلاثة مَوَاقِفَ: أنْ يَقْرَأَ الوالي كتابَ البَيْعَةِ على الجُمْهُورِ فَيَسكُتَ سعيدٌ دون أن يقولَ لا أو نعم، أو أنْ يَجْلِسَ في البَيْتِ فلا يَنْهَضَ إلى المَسْجِدِ أيَّاماً حتّى تَنْتَهِيَ البَيْعَةُ، أو أن يَنْتَقِلَ من مَكَانِهِ بالمَسْجِد فلا يَجِدَهُ الرَّسُولُ إذْ يَأْتِيهِ.

ويَرْفُضُ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ كُلَّ هذه العُرُوضِ، وحُجَّتُهُ في ذلك: أنَّهُ أوّلاً يَخْشَى أنْ يَصْمتَ فيظنَّ الناسُ أنه مبايعٌ لأنه لم يُعَارِضْ، وهو ثانياً لا يستطيعُ أنْ يَسْمَعَ المُؤَذِّنَ يدعو إلى الصلاة فلا يُلَبِّي، وهو ثالثاً يَرْبَأُ بنَفْسه أنْ يَنْتَقِلَ من مكانه في المسجد خوفاً من مَخْلُوق!

ولكنه دَفَعَ ثَمَنَ هذا المَوْقِفِ؛ إذ جُرِّدَ من ثيابه، وضُرِبَ خمسين سَوْطاً، وطِيفَ به في أسواقِ المدينةِ، ورِجَالُ الوالي يقولون: هذا مَوْقِفُ الخِزْيِ! فيَرُدُّ عليهم بحَزْمٍ وقُوَّةٍ: فَرَرْنا من الخِزْيِ يَوْمَ القِيَامَةِ، بما فَعَلْتُمُوهُ وفَعَلْنَاهُ!

ولمَّا رَأى عَبدُ المَلِكِ أنَّ الشِّدَّةَ لم تَنْفَعْ أيضاً، نَدِمَ على ما فَعَلَ، وأخَذَ يَبْذُلُ الجُهُودَ لاسْتِرْضَاء ابْنِ المسيِّب. فقَدِمَ يوماً إلى المدينة، ووَقَفَ على بَابِ المسجدِ، وأرسل إلى سَعِيدٍ رَجُلاً يَدْعُوه، فأتاه الرسولُ وقال: أميرُ المؤمنين بالبَابِ يريدُ أن يُكلِّمَكَ.

فقال: ما لي إليه مِنْ حَاجَةٍ، وما به حَاجَةٌ إليَّ.

فرَجَعَ الرَّسُولُ فأخْبَرَهُ فقال له: قُلْ له: أَجِبْ أَمِيرَ المؤمنين.

فكَرَّرَ سعيدٌ ما قَالَ، فاسْتَعْظَمَ الرسولُ ما صَنَعَ، فقال له سعيدٌ: اذْهَبْ يا بُنَيَّ، فإن كان يريدُ بي خيراً فهو لك، أو شَرّاً فلْيَقْضِ ما هو قَاضٍ!

ورَجَعَ الرسولُ بالإجابة إلى الخَلِيفَةِ، فسَكَتَ على غَيْظٍ، ولكنه لم يَسْتَطِعْ أنْ يَفْعَلَ شيئاً.

وإلى جَانِبِ مَوَاقِفِ الدِّفاعِ هذه، كان لابْنِ المُسَيِّبِ مَوَاقِفُ هو البادِئُ فيها بالهُجُوم:

صَلَّى الحَجَّاجُ ذات يوم صَلاةً عَاجِلَةً، لم يُتِمَّ فيها الرُّكُوعَ والسُّجُودَ كما يَجِبُ، فملأَ سعيدٌ كَفَّهُ حَصًى ورَمَاهُ

به، وسَكَتَ الحَجَّاجُ الطاغيةُ المعروفُ، ولم يستطعْ أنْ يفعلَ شيئاً، لأنه كان يعرفُ قِيمَةَ الرَّجُلِ عند النّاسِ ويَخْشى انْفِجَارَهُم ضِدَّهُ.

ومَرَّةً يُرْسِلُ إليه القَوْمَ أنَّ له في بَيْتِ المالِ عَطاءً مُتَجَمِّعاً يزيدُ عن ثلاثين أَلْفَ دينارٍ، ولكنه يرفضُ أنْ يَأْخُذَ منه دِرْهَماً، ويَرُدُّ عليهم قائلاً: لا حَاجَةَ لي فيما عند الظَّلَمَةِ مِنْ حُقُوقٍ!

فَقِيلَ له: أَلاَ تخافُ على نَفْسِكَ؟

فقال لمُحَدِّثِهِ: مَهْلاً، يا أَحْمَقُ، فلن يُضَيِّعَني اللَّهُ!

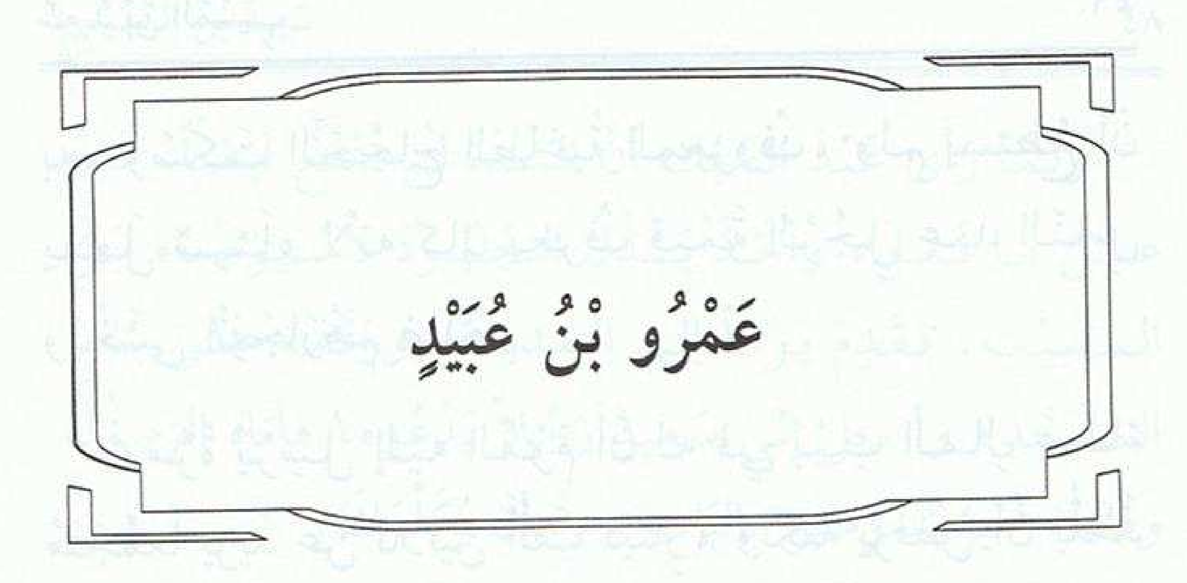
وقال عليُّ بْنُ الحُسَيْنِ: سعيدُ بْنُ المُسَيِّبِ أَعْلَمُ النَّاسِ بما تَقَدَّمَ من الآثار، وأَفْقَهُهُمْ في زَمَانه.

وقال قَتَادَةُ: ما رأيتُ أَعْلَمَ بالحَلالِ والحَرَامِ منه.

وقال مَكْحُولٌ: طُفْتُ الأَرْضَ، فما وَجَدْتُ أَعْلَمَ منه!

وذَكَرَ مالكٌ والشافعيُّ وابْنُ حَنْبَلٍ وأَصْحَابُ أبي حَنِيفَةَ آراءَه، واسْتَشْهَدُوا بما تُنُوقِلَ مِنْ فَتَاوَاه.

وتَتَلْمَذَ عليه عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، وعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ.



عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ

سُئِلَ الإمامُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يَوْماً يا أَصْدِقَائي عن عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، فقَالَ: رَجُلٌ كأنَّ الملائكَةَ أَدَّبَتْهُ، وكأنَّ الأنبياءَ رَبَّتْهُ، إنْ أَمَرَ بشيءٍ كان أَلْزَمَ النّاسِ به، وإن نَهى عن شَيْءٍ كان أَتْرَكَ النّاسِ له، ما رأيتُ ظاهراً أَشْبَهَ بباطِنٍ مِنْهُ، ولا باطناً أَشْبَهَ بظَاهِرٍ منه.

وقد سَمِعَ أحدُ تلاميذ ابْنِ عُبَيْدٍ مَنْ يَسُبُّهُ سَبّاً جَارِحاً، فقال لشَيْخِه: يا أبا عُثْمَانَ، إنِّي لأَرْحَمُكَ ممّا يقولُ الناسُ فِيكَ.

فقال له: يا ابْنَ أخي، أَسَمِعْتَنِي أَقُولُ فيهم شيئاً؟

قال: لا.

وهذا يَدُلُّ على تَعَالِيهِ عن الخُصُومَةِ ورَدِّ السُّوءِ بالسُّوءِ.

ونحنُ يا أصدقائي إذا كُنَّا نَفْخَرُ بِرِجَالاتِ الإسلام الكِبَارِ، الَّذين تَصَدَّرُوا سَاحَاتِ العِلْمِ وكانوا يقولون الحَقَّ دون رَهْبَةٍ أو خَشْيَةٍ، فإنَّنا يَجِبُ أنْ نَفْخَرَ أيضاً بالخُلَفاء والحُكَّامِ الذين كانوا يَسْتَمِعُون القَوْلَ فيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

ولْنَقْرَأْ معاً يا أصدقائي هذه الحَادِثَةَ التي تَدُلُّ على شَجَاعَةِ ابْنِ عُبَيْدٍ وحِكْمَةِ الخَليفةِ أبي جَعْفَرٍ المَنْصُورِ.

فما أَنِ اسْتَقَرَّ حُكْمُ المَنْصُور بعد أن سَفَكَ دِماءً كثيرةً، تذكَّر ابْنَ عُبَيْدٍ، عَالِمَ البَصْرَةِ ورَأْسَ مُتَكَلِّمِيهَا، وكان صديقاً له، فحَنَّ إلى مَجْلِسه وصَرَاحَتِه، فأَرْسَلَ إليه يَرْجُوهُ الحُضُورَ إلى بَغْدَادَ.

فتَرَدَّدَ ابْنُ عُبَيْدٍ في تَلْبِيَةِ الدَّعْوَة، ولكنّه رَأَى أَنَّ الوَاجِبَ يَقْضِي عليه أنْ يُلَبِّيَ الدعوةَ، ليُسْمِعَ ما يَوَدُّ أنْ يُسْمِعَهُ للخليفة.

وما أنْ عَلِمَ المنصورُ بقُدُوم ابنِ عبيدٍ حتى أَلْغَى كُلَّ مَوَاعِيدِهِ، وانْتَقَلَ من الحُجْرَةِ المُذَهَّبَةِ إلى حُجْرَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ، وجلس على حَصِيرٍ ليَسْتَقْبِلَ صَدِيقَهُ القَدِيمَ الحَمِيمَ، وهو أَعْرَفُ الناسِ به.

وعندما دَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، قام المنصورُ إليه،

وعانَقَهُ، وقبَّلَهُ، ثم رفع إليه عَيْنَيْهِ في انْكِسارٍ وقال: عِظْني يا أبا عُثْمانَ!

فنظَرَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ إلى الخَليفةِ نظرةً تدلُّ على عَدَمِ الرِّضَى، واندَفَعَ يَقْرَأُ بعد البَسْمَلَةِ قَوْلَ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾.

وكَرَّرَ الآيةَ الأَخِيرَةَ، فَفَهِمَ الخليفةُ ما يَعْني أبو عثمان، وتَمَلَّكَتْهُ رَعْشَةٌ، وتساقطتْ من عينيه الدُّمُوعُ.

ثم قال أبو عُثْمان: إنَّ الله أعطاك الدُّنْيا بأَسْرِهَا، فاشْتَرِ نَفْسَكَ منه ببَعْضِها، اعْلَمْ أنَّ هذا الأَمْرَ الَّذي صارَ إليكَ إنما كان في يَدِ مَنْ قَبْلَكَ، ثم أَفْضَى إليكَ، وكذلك يَخرجُ منك إلى من هو بَعْدَكَ، وإنِّي لأُحَذِّرُكَ لَيْلَةً تَتَمَخَّضُ صَبِيحَتُها عن يَوْمِ القِيامَةِ، يا أَمِيرَ المؤمنين؟

وكان سليمانُ بْنُ مُجاهِدٍ، كَبِيرُ حَاشِيَةِ المنصورِ يسمعُ ويَرَى، فاسْتَفْظَعَهُ، فصَاحَ بأبي عثمان: رِفْقاً بأَمِيرِ المؤمنين، فقد أَتْعَبْتَهُ مُنْذُ اليَوْم!

فَرَفَعَ أبو عُثْمان رَأْسَه وقال له: مَنْ أنتَ؟

فقال أبو جعفر: أَوَلا تَعْرِفُه يا أبا عثمان؟

قال: لا. وما أُبَالي ألاَّ أَعْرِفَهُ!

فأجابَ المنصورُ: هذا أَخُوكَ سليمانُ بْنُ مجاهد.

فضَحِكَ أبو عثمان مُتَهَكِّماً وقال: هذا أَخُو الشَّيْطان!

وَيْلَكَ يا ابْنَ مُجاهِدٍ! خَزَنْتَ نَصِيحَتَكَ عَنْ أميرِ المؤمنين، ثمّ أَرَدْتَ أنْ تَحُولَ بينه وبين مَنْ أَرَادَ نَصِيحَتَهُ؟! يا أَمِيرَ المُؤمنين، إنَّ هؤلاء اتَّخَذُوكَ سُلَّماً لِشَهَوَاتِهِمْ، فأنت كالآخِذِ بالقَرْنَيْنِ وغَيْرُكَ يَحْلُبُ، فاتَّقِ اللَّهَ فإنَّك مَيِّتٌ وَحْدَكَ، ومُحَاسَبٌ وَحْدَكَ، ومَبْعُوثٌ وَحْدَكَ، ولنْ يُغْنِيَ عنك هؤلاء مِنْ رَبِّكَ شيئاً!

وخَتَمَ المَنْصُورُ مَجْلِسَهُ بأنْ سأله: هل مِنْ حَاجَةٍ؟

قال: نعم، هي ألاَّ تَبْعَثَ إليَّ حَتَّى آتِيَكَ.

فقال المنصورُ: إذَنْ لا نَلْتَقي.

قال عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: عن حَاجَتي سَأَلْتَني.

ونَهَضَ قائماً، فَوَدَّعَهُ الخليفةُ، وهو لا يَدْري ما

يَصْنَعُ ، وتَلَفَّتَ حَوْلَهُ لِيَجِدَ نَفْسَهُ مُحَاطاً بالمُنْتَفِعِينَ من كل لَوْنٍ ، فإذا بلسَانه يَنْطَلِقُ مُنْشِداً :

كُــلُّــكُــمْ يَــمْــشِـي رُوَيْــدْ

كُــلُّــكُــمْ يَــطْــلُــبُ صَــيْــدْ

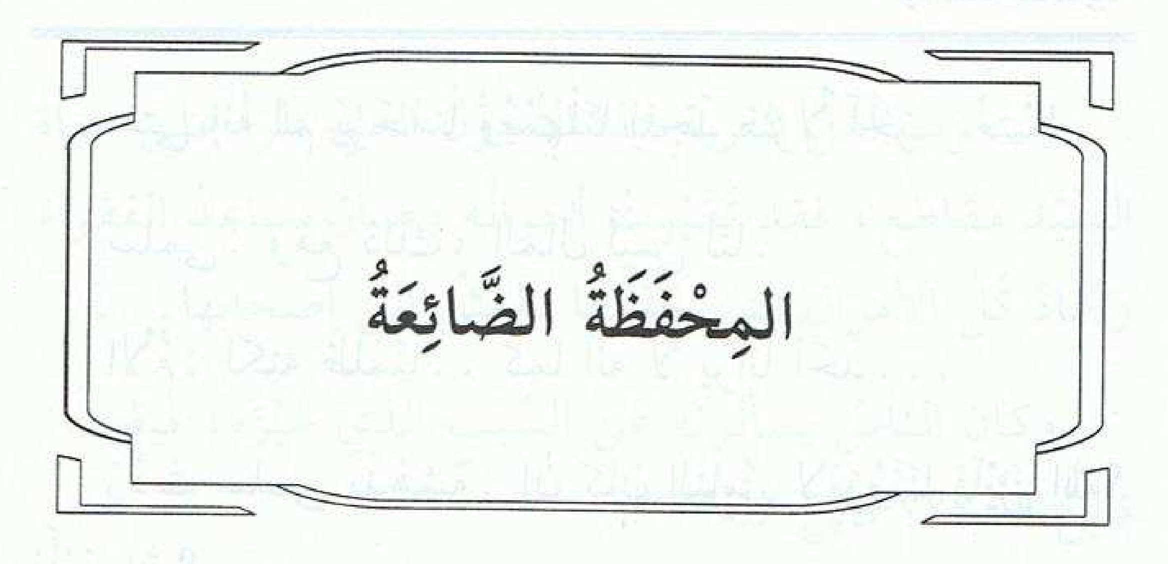
غَــيْــرُ عَــمْــرِو بْــنِ عُــبَــيْــدْ

فَذَهَبَتْ كَلِمَاتُهُ هذه مَثَلاً .

القسم الثاني

قصص قصيرة

- □ المِحْفَظَةُ الضَّائِعَةُ
- □ العَمُّ الطَّيِّبُ
- □ عِيدُ العَصَافِيرِ
- □ عِنْدَمَا تَتَحَقَّقُ الأحْلامُ
- □ الدِّيكُ الحَكِيمُ والذِّئْبُ الجَائِعُ
- □ النَّمْلَةُ المَغْرُورَةُ
- □ اللُّعْبَةُ المِسْكِينَةُ
- □ لماذا يَكْذِبُ النَّاسُ يا جَدِّي؟!
- □ الثَّعْلَبُ المَكَّارُ
- □ الأَرْضُ الطَّيِّبَةُ
- □ النَّسْرُ والحِسَابُ القَاسِي
- □ آهِ. . . ما أَجْمَلَ الحُرِّيَةَ
- □ العَالَمُ الصَّغِيرُ الَّذي أُحِبُّهُ ويُحِبُّنِي
- □ صَدِيقِي يُضَيِّعُ وَقْتَهُ باللَّعِبِ
- □ نَبِيلٌ الشُّجَاعُ
- □ صَبِيُّ الثَّلْجِ
- □ لَيْلَى تُحِبُّ المَدْرَسَةَ
- □ أَوَّلُ أَيَّامِ المَدْرَسَةِ
- □ آخِرُ يَوْمٍ في المَدْرَسَةِ
- □ الرَّجُلُ الغَرِيبُ
- □ العَمَلُ الَّذي أُحِبُّهُ ويُحِبُّنِي
- □ الهِرَّةُ الفَيْلَسُوفَةُ
- □ العُصْفُورُ الصَّغِيرُ



المِحْفَظَةُ الضَّائِعَةُ

كانتْ سَلْمَى تبحثُ عَن الطَّعَام في الحَاويَاتِ القَريبة مِنْ مساكن أَثْرِيَاءِ قَرْيَتِها؛ فوَجَدَتْ مِحْفَظَة جَيْبٍ صغيرةً، حَمَلَتْها وأَخْفَتْها في كِيسٍ صَغيرٍ وعادتْ بسُرْعَةٍ إلى بيتها الطِّينيِّ في تَلَّة بعيدة في القَرْيَةِ.

أعطتْ سَلْمى المِحْفَظَةَ لأُمِّها فوجدتْ فيها رُزْمَةً كبيرةً من المال وبِطَاقَةَ هَوِيَّةٍ. الأمُّ وهي تضحكُ ساخرةً: إنّها للسَّيّد مقاطع ها ها ها. . .

ثم قالتْ: لقد أصْبَحَ كلُّ هذا المالِ لنا. .

سَلْمى: لكننا نَعْرِفُ صَاحِبَهُ.

الأُمُّ: أَنسِيتِ كيف طَرَدَنا من منزلنا بعد أن مَاتَ أَبُوكِ مُدَّعِياً زُوراً أنّ أباك بَاعَهُ المنزلَ وَقَدَّمَ للمحكمة أوْرَاقاً ومُسْتَنَدَاتٍ مُزَوَّرَةً. . .

حتى إنه لم يَرْحَمْنا ويُمْهِلْنَا لِنَجِدَ منزلاً آخرَ . .

سلمى : ومَعَ ذلك ، المالُ لَيْسَ لنا .

الأمُّ : لكنه ظَلَمَنَا . . كما أنّه لا يرانا أَحَدٌ . . .

رَدَّتْ سلمى بدَهْشَةٍ : إنْ كان الناسُ لايَرَوْنَنَا فأيْنَ اللهُ؟ فأَيْنَ اللهُ؟

قَامَتِ الأمُّ وقالت : هَيَّا بنا! ولم تَقُلْ كلمةً أخرى . . .

وَصَلَت الأمُّ وابْنَتُها إلى منزلِ السَّيّد مقاطع وقَدَّمَتَا له المِحْفَظَةَ .

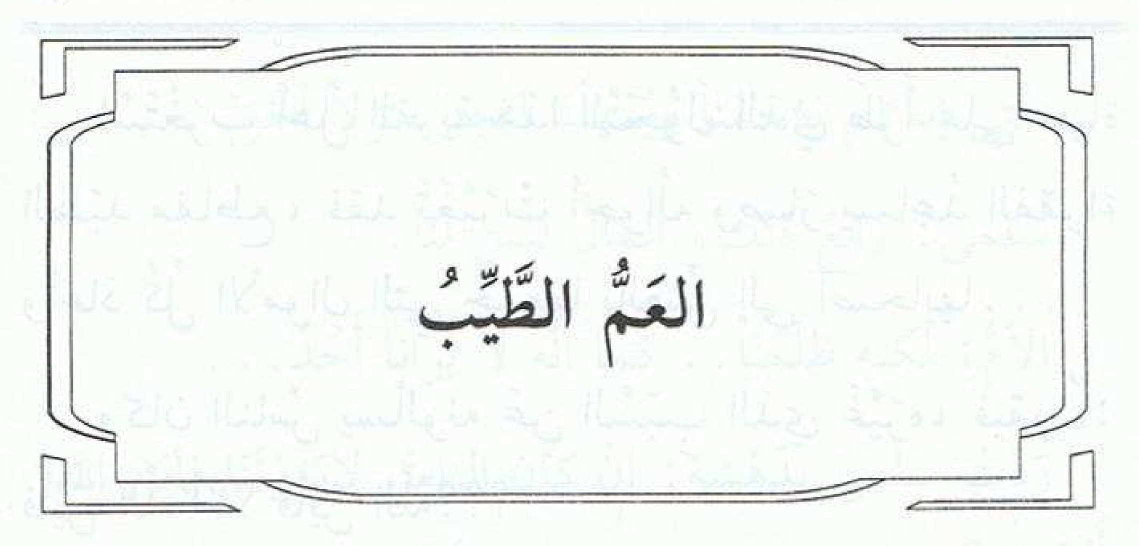
اسْتَغْرَبَ السّيّدُ مقاطع مَوْقِفَ الأمِّ المظلومةِ ، فقالت له : لا تَسْتَغرِبْ! اسألْ سلمى سوف تُخْبِرُكَ وتقول : فأينَ اللهُ؟؟؟ فأينَ اللهُ؟؟؟

وعَادَتِ الأمُّ وابنتُها إلى بيتهما الطِّينِيِّ القديم .

في اليَوْم التّالي قَرَعَ السيدُ مقاطع بَابَ المَرْأة وقال لها : اذْهَبِي إلى بَيْتِكِ الأَوَّلِ ، هذه ورقةٌ تُثْبِتُ أنّ البيتَ الذي أخَذْتُه منكم هو لكم . . . واعْتَرَفَ لهما بأنه زَوَّرَ المُسْتَنَدَاتِ وظَلَمَها وأولادَها اليَتَامَى وصارَ يَرْجُوها أنْ تُسَامِحَهُ .

اسْتَغْرَبَ أهلُ القرية هذا التَّحَوُّلَ الذي طَرَأَ على حياة السيّد مقاطع، فقد تَغَيَّرَتْ أحوالُه وصارَ يساعدُ الفقراءَ وأعادَ كُلَّ الأموالِ التي جَمَعَها بالغِشِّ إلى أصحابها. . .

وكان الناسُ يسألونه عَنِ السَّبَبِ الذي غَيَّرَه، فيقولُ: فأيْنَ اللَّهُ؟؟؟ فأيْنَ اللَّهُ؟؟؟.



العَمُّ الطَّيِّبُ

العَمُّ أبو ميسم شيخٌ كبيرٌ، سنًّا ومكانةً، وكلُّ مَنْ في الحيّ يَخْفِضُ له الجَناحَ، ويتودّد إليه، ويَسْتَمعُ لنصائحه الثَّمِينة ولِحِكَمِهِ البالغة، التي يَسْرُدُها بأسلوب الواثق المطمئنّ، البعيد عن أي مصلحة.

العَمّ أبو ميسم، لا أَحَدَ يعرفُ عمرَه بالتحديد، ربما تعدّى الثمانين، ولكنه لا يزال يعتمدُ على نفسه تماماً، رغم أن لديه خادماً، وأولاده وأحفاده وكلّ الناس في الحيّ يرغبون بخدمته.

لقد عاش أبو ميسم حياةً طويلةً، يقول إنها لم تَسْتَقِرَّ على حالٍ، فقد ذاق مرارة الدنيا وحلاوَتَها، وتَحَدَّى أصْعَبَ الظروف في سبيل حياةٍ كريمةٍ شريفةٍ.

الكبارُ والصغارُ يحبُّون العَمَّ أَبا ميسم، وهم يَلْتَمُّون حَوْلَه عندما يجلس في فناء داره طمعاً بِحِكْمَةٍ يقولها، أو

قصّة أو نصيحة، وغالباً ما يستشيرُونه في قضاياهم ويكون حَكَماً في مشاكلهم ومُنازعاتهم، ويرضون بحُكْمِهِ مهما كان.

وأبو ميسم رجلٌ مؤمنٌ، لا يتأخّر عن الصّلوات المكتوبة ويكون أولَ الحاضرين إلى المسجد وآخِرَ الخارجين، ولا يَدَعُ أيَّ شيءٍ يؤخّره عن الصلاة، وغالباً ما يَقْتَدِي به الصغارُ والكبارُ ويقلّدونه في التزامه وصلاته وأخلاقه.

عند الضُّحَى، جلس أبو ميسم كعادته كُلَّ صباح في فناء الدار يَتْلُو بَعْضَ آيات الله عن ظَهْرِ قَلْبٍ، ويحمدُ ربَّهُ وَيَسْتَغْفِرُهُ.

في هذه الأثناء دنا شاكرٌ وأخوه عُمَيْرٌ من دار أَبي ميسم ودَلَفَا إلى حيث يجلسُ عادةً، واقتربا منه، وسَلَّما.

رحَّبَ أبو ميسم بضيفيه الصغيرين، فقبّلا يَدَهُ، ودعا لهما بكل خير.

قال شاكِرٌ: لقد عَزَمْنَا أَنَا وأخي أن نُجَالِسَكَ في هذا الصباح لنسألك بعض الأسئلة.

قال أبو ميسم: يا حَيَّاكُم الله، ما أنتما إلاّ زهرتين جميلتين يَحْلُو معهما الجلوسُ والكلامُ.

قال عُمَيْرٌ: يا عمِّ، سمعتُ أبي يقول إنك طُفْتَ العالَمَ من أجل العلم والتجارة.

تبسّم الشيخُ العجوزُ: أنت ابنُ أبي قاسم أليس كذلك؟ رحم الله جَدَّك، لقد كان رَجُلَ بِرّ وتَقْوى.

وتابع يقول: يا ابنيَّ العزيزين، العلم مطلبٌ عزيزٌ، وعلينا أن نبحثَ عنه في كلّ مكان حتى في آخر الدنيا، وقد أوصانا رسولُنا الأمينُ بطَلَبِ العِلْمِ، وقال: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»، لذا رحلتُ في البلادِ حتى كساني الله حُلّةً من العلم والإيمان، أما التجارة فبابٌ من الرزق والسَّعْي مأمورون به، وقد أردتُ أَنْ أُنْفِقَ على العلم من مالي، فتاجرتُ، وكسبتُ، وخسرتُ، وأُبلغكما قَوْلَ الرسول ﷺ: «ما كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْباً أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وما أَنْفَقَ الرَّجُلُ على نَفْسِهِ وأهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ فهو صَدَقَةٌ»، أو كما قال ﷺ. قال شاكر وعُمَيْرٌ: صَدقَ رسُولنا الكريمُ.

وتابع الشيخُ الجليلُ: والعِلْمُ يا بُنَيَّ مُقدَّمٌ على المال، فالتجارةُ بابٌ نتحصَّلُ من خلاله المالَ فينفعُنا في عِلْمِنا ودِينِنا، فنحن نَسْعَى إلى تعمير الدنيا كما نسعى إلى تعمير الآخرة.

سُرَّ الصَّبِيَّانِ من هذا الكَلَامِ، فحديثُ العَمِّ الكبيرِ ليس حديثاً عاديًّا، والكلماتُ عندَما تخرُجُ من فَمِهِ، تخرجُ عَذْبَةً صادقةً تَنْسابُ إلى القلب بسُهُولَةٍ ويُسْرٍ، وتأسُرُ من يسمعُه بكل حَوَاسِّهِ.

خَفَضَ شاكرٌ رَأْسَهُ، واقْتَرَبَ عُمَيْرٌ، وقَبَّلَ يَدَ الشيخ وقال: إن أبي يقول إنك بركةُ الحيّ.

تبسَّم أبو ميسم: بارك اللّهُ بك وبوالدك، الحمدُ لله، الحمدُ لله، الناس يظنّون بي خيراً، الحمدُ لله، الشكرُ لك يا ربّ.

وراح الشيخُ يَلْهَجُ بالدُّعاء، ويستغفرُ اللّهَ.

قال شاكرٌ: انْصَحْني يا عَمّ، إنني أحبُّ الاحتفاظَ بوصيّةٍ منك تكون دَيْدَني في مشوار حياتي.

قال: هل تعرفُ سورة لقمان؟

قال: طبعاً يا سيّدي.

قال: أوصيك بخَيْرِ ما أَوْصَى به لقمانُ ابْنَه، وهي لو التزم كلُّ إنسانٍ بها لأَضْحَتِ الدّنيا قطعةً من الجَنّةِ.

قال شاكر: أنا أحفظُ هذه الوصايا.

الحمدُ لله الحمدُ لله، حَمِدَ الشيخُ رَبَّهُ وقال: فلْتَكُنْ إذَنْ شِعَارَكَ في الحياة.

قال عُمَيْرٌ: قُلْ لنا شيئاً عن التَّعامل بين الناس.

أجْمَلُ ما نَتَأَسَّى به سِيرَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، ففي قَصَصِهِمْ آياتٌ للعالمين، وأُخْبِرُكُما بقَوْلِ رسُولنا الكريم في صورة من صُوَرِ البناء الاجتماعي، كما قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ويَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنا»، و«خَيْرُ الأَصْحَاب عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لصَاحِبِهِ، وخَيْرُ الجِيرَانِ عند الله خَيْرُهُمْ لجَارِهِ».

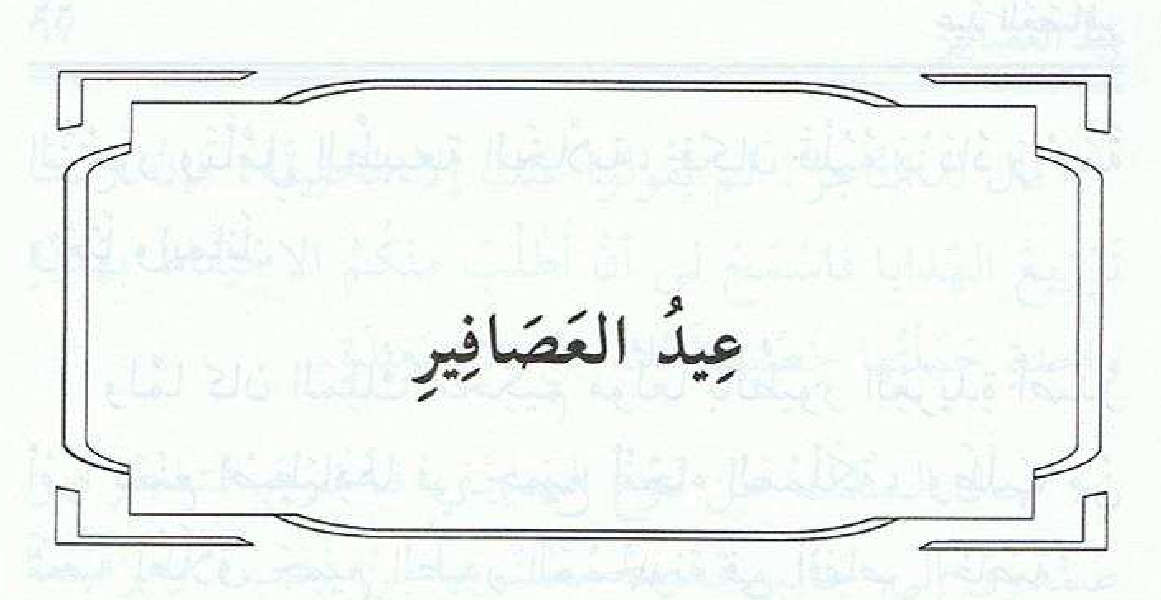
قال عُمَيْر: ما أَرْوَعَها مِنْ وصايا.

أبو ميسم: إنّ أعظم الوَصَايَا نجدُها في كِتَابِ اللّهِ وسُنّة رسوله، فهلاَّ تَمَسَّكْنا بهما!

قال شاكرٌ: عَمّي، عَلِّمْنَا شيئاً عن الرِّفْقِ.

قال: عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «إنّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ في شَيْءٍ إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شَانَهُ».

ومضى الوقتُ ولم يَشْعُرِ الجميعُ إلاّ وقد أُذِّنَ لصلاة الظهر، فحمل أبو ميسم عُكّازه وأمسك بيد عُمَيْر ومضوا جميعاً تجاه المسجد القريب.



عِيدُ العَصَافِيرِ

يُحْكَى أَنَّ مَلِكاً كَانَ يَحْكُمُ مَمْلَكَتَهُ بالعَدْلِ والإِحْسَانِ والمُسَاواة بين الرَّعِيَّة، وكان أفرادُ شَعْبِهِ يُحِبُّونه حُبّاً شَدِيداً، ولا يُخَالِفُونَهُ برَأْيٍ، لكنَّه كان يَسْتَشِيرُ شُيُوخَ الرَّعيَّة وكِبَارَ قَوْمِهِ قبل اتِّخَاذِ قَرَارٍ يَتَعَلَّقُ بمَصِيرِ المَمْلَكَةِ، ولذلكَ كَانَ النَّاسُ يَحْتَرِمُونَهُ ويُطِيعُونَهُ بصِدْقٍ ووَفَاءٍ وإِخْلاصٍ.

وبفَضْلِ هذا المَلِكِ اسْتَتَبَّ الأَمْنُ في سَائِرِ أَنْحَاءِ المَمْلَكَةِ، وتَمَتَّعَ الشَّعْبُ بالبُحْبُوحَة والرَّخَاء، وكانت جَمِيعُ البلادِ تَحْسُدُ هذه المَمْلَكَةَ على مَلِكِها الحَكِيم. ومع مُضِيِّ الأيّام لم يَعُدْ هُناك مِنْ حَاجَةٍ لبقاء السُّجُونِ، فهَدَمَها المَلِكُ وأَقَامَ مكانَها حَدَائِقَ عَامَّةً، وأَصْبَحَ النّاسُ في سَلام دَائِمٍ وفَرَحٍ مُقِيمٍ.

وكَانَ مِنْ عَادَةِ المَلِكِ الخُرُوجُ كُلَّ صَباحٍ لتَنَسُّمِ شَذَا

الزُّهُور وتأمُّلِ الطَّبيعة الخَلَّابة، فكان قَلْبُهُ يَزْدَادُ رَحْمَةً وحُبّاً وإيماناً.

ولمَّا كان المَلِكُ الحَكِيمُ مُولَعاً بالطُّيور الغَرِّيدَةِ أصْدَرَ أمْراً بمَنْعِ اصْطِيَادِهَا في جميع أنْحاء المَمْلَكة، وطَلَبَ مِنْ شَعْبِه إطْلَاق جَمِيع الطُّيور المَسْجُونة في أقفاصٍ خَاصَّة.

كَثُرَتِ الطُّيورُ وازْدادَ عَدَدُها بشَكْلٍ كَبيرٍ، واشْتَهَرَت المَمْلَكَةُ بأنها أصْبَحتْ مَوْطناً لأنْواع الطُّيُورِ المُخْتَلِفَةِ لأنَّها تَجِدُ فيها الأمانَ والغِذاءَ والطَّبيعة الغَنَّاءَ.

وفي يَوْم، قَدِمَ المَمْلَكَةَ تَاجِرٌ ثَرِيٌّ، يَحْمِلُ الهَدَايا الكثيرةَ للمَلِكِ الحَكِيم.

طَلَبَ التَّاجرُ مُقابَلَةَ المَلِك. ولمَّا كانَ الملكُ لا يَرُدُّ زائراً أمَرَ بإدْخَال التَّاجِرِ على الفَوْرِ، فقال التاجرُ: لقد سَمِعْنَا أيُّها المَلِكُ العَظيمُ بقُوَّتِكُمْ ومَهابَتِكُمْ وعَدْلِكُمْ، فجِئْنا نُقدِّمُ إليكم هذه الهَدَايا تَحِيَّةً مِنْ تُجَّارِ مَمْلَكتنا التي تَعْتَرِفُ بفَضْلِ حِكْمَتِكُم البَالِغَة.

سُرَّ الملكُ، وقَبِلَ هَدِيَّةَ التَّاجِرِ قائلاً له: سَنُوَزِّعُ هذه الهدايا على أفْرادِ الشَّعْبِ بالتَّساوي.

قال له التَّاجرُ: لم يَقُولوا عنك إلا الحَقِيقَةَ، فإنْ أَرَدْتَ تَوْزِيعَ الهَدايا فاسْمَحْ لي أنْ أَطْلُبَ مِنْكُمْ الاحْتِفَاظَ بهَدِيَّةٍ واحدةٍ حَمَلْتُها خِصِّيصاً لك مِنْ بلادٍ بَعِيدَةٍ.

سألَ الملكُ عن نَوْعِ الهَدِيَّة، فأَخْرَجَ التاجرُ من صُنْدُوقٍ إلى جَانِبِهِ قَفَصاً مَصْنُوعاً مِنْ ذَهَبٍ، ومُرَصَّعاً بالمَاسِ والزُّمُرُّدِ واليَاقوتِ، وفي القَفَصِ عُصْفُورَةٌ جَمِيلَةٌ لم يَرَ الملكُ مثيلاً لها في حَيَاته.

ولأوَّلِ مَرَّة منذ زَمَنٍ بَعِيدٍ، تَجَهَّمَ وَجْهُ الملكِ وقال للتّاجِرِ: ألَمْ تَعْلَمْ أَنِّي مَنَعْتُ سَجْنَ الطُّيُورِ، وأَنِّي أُعَاقِبُ كُلَّ من يَصْطَادُهَا وكُلَّ مَنْ يَسْجُنُها في قَفَصٍ؟

وقبل أنْ يتكلَّمَ التاجرُ، تابَعَ الملكُ يقولُ: ولأنَّكَ غَرِيبٌ لَنْ أُعَاقِبَكَ، ولكنِّي آمُرُكَ بإِطْلاقِ سَراحِ هذه العُصْفُورَةِ المِسْكِينَةِ وبهذا تكونُ قد قَدَّمْتَ هَدِيَّةً رائعة للمَمْلَكَةِ كُلِّها.

قال التاجرُ: يا سَيِّدي المَلِكُ، سأفْعَلُ ما تُريدُ ولكنِّي أَوَدُّ أنْ أُخْبِرَكَ بأَنَّ هذه العُصْفُورَةَ ليستْ كباقي العَصَافِير، صَوْتُها سَاحِرٌ فَتَّانٌ، تُغَنِّي عندما يُرِيدُ مَلِكُنا وتتوقَّفُ عندما يطلبُ منها ذلك.

فقال الملكُ : أخْرِجْهَا أوّلاً من القَفَصِ .

فَتَحَ التَّاجرُ بَابَ القفصِ ، فَخَرَجَتِ العفصورةُ بهُدُوءٍ ، واقْتَرَبَتْ مِنْ مَكَانِ جُلُوسِ المَلكِ وأَحْنَتْ له رَأْسَها .

دُهِشَ المَلكُ ممّا فَعَلَتْهُ العُصْفُورَةُ وطَلَبَ مِنْها أنْ تُغنّي ، وما أنْ سَمِعَ صَوْتَها البَدِيعَ حتى اغْرَوْرَقَتْ عيناهُ بالدُّمُوع .

فقال : ما سِرُّ هذه العُصْفُورَةِ؟ إنّي أسْمَعُها تبْكي ولا تُغَنّي؟

لم يُجِبِ التاجرُ على سُؤَالِ المَلِكِ ، واسْتَأْذَنَ بالخُرُوج .

اسْتَدْعَى المَلِكُ كَاهِنَ القَصْرِ على وَجْهِ السُّرْعَة ، وسأله عَنْ سِرِّ العُصْفُورَةِ ، أَنْصَتَ الكاهنُ إلى تَغْرِيدِ العُصْفُورة - وكان يفهمُ لُغَةَ العَصَافِيرِ - فقال للمَلِكِ : إنَّ هذه العُصْفُورَةَ فَتَاةٌ سَحَرَتْها سَاحِرَةٌ شِرِّيرَةٌ في بلاد بَعيدةٍ لأنها كانت تَغَارُ مِنْ جمالها ، والتاجرُ الَّذي أحْضَرَهَا هو أَبُوهَا ، ولكنّه لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُخبِرَ أحَداً بما حَدَثَ لابْنَتِهِ وإلاّ سَتَبْقَى مَسْحُورَةً مَدَى حَيَاتِهَا ، ولكنَّ السَّاحِرَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ لن يَجِدَ دَوَاءً لابْنَتِهِ إلاّ عِنْدَ مَلكٍ يَحْكُمُ مَمْلَكَتَهُ بالعَدْلِ

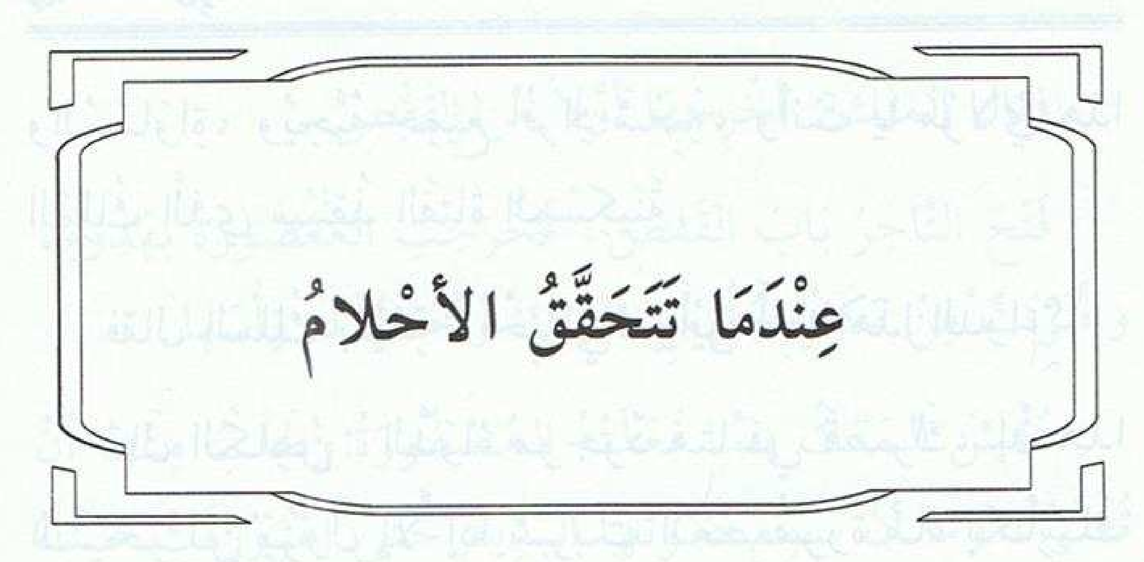
والمُسَاوَاةِ، ويُحِبُّهُ جَمِيعُ أفْرادِ شَعْبِهِ، وأنتَ يا مَوْلايَ هذا المَلِكُ الَّذي سيُنْقِذُ الفَتاةَ المِسْكِينَةَ.

فقالَ الملكُ بلَهْفَةٍ: أخْبِرْني! وأَيْنَ أَجِدُ هذا الدَّوَاءَ؟

قالَ الكَاهِنُ: الدَّوَاءُ موجودٌ هنا في قَصْرِكَ، إنَّ هذا السِّحْرَ لن يَزُولَ إلاَّ إذا شَرِبَتِ العُصْفُورةُ مَاءً بكأسِكَ الذَّهَبِيِّ الَّذي يَتَوارَثُهُ مُلُوكُ هذه المَمْلَكَةِ.

نَادَى المَلِكُ خَادِمَهُ وأَمَرَهُ بإحْضَارِ الكَأْسِ الذَّهَبِيِّ، وطَلَبَ منه أنْ يَملأه ماءً وأنْ يَسْقِيَ العصفورةَ منه. وما أنْ شَرِبَتِ العصفورةُ بِضْعَ نُقَاطٍ حتى تَحَوَّلَتْ على الفَوْرِ إلى فَتاةٍ رائعةِ الجَمالِ، أَخفَتْ وَجْهَهَا بِكَفَّيْهَا مِنْ شِدَّةِ الخَجَلِ ثم أُغْمِيَ عليها.

أَمَرَ المَلِكُ بوَضْعِ الفتاة في قَصْرِ الضِّيَافَةِ، ثم أَقَامَ احْتِفَالاتٍ ووَلائِمَ في جَمِيعِ أَنْحاءِ البلادِ، ومنذ ذلك الوَقْتِ وتلك المَمْلَكَةُ تَحْتَفِلُ كُلَّ عَامٍ في مثل هذا اليَوْمِ بمُنَاسَبَةِ نَجاةِ الفَتاةِ المسحورةِ بِعِيدٍ أَسْمَتْهُ عِيدَ العَصَافِيرِ.



عِنْدَمَا تَتَحَقَّقُ الأَحْلامُ

فُلَّةُ فَتاةٌ مُهَذَّبَةٌ. تُحِبُّ أُسْرَتَها أَكْثَرَ مِمَّا تُحِبُّ أَيَّ شيءٍ آخَرَ في الدُّنْيا.. في الصَّيْفِ المَاضي رَأَتْ في وَاجِهَةِ أَحَدِ المَحَلاَّتِ لُعْبَةً جَمِيلةً.

ورَاحَتْ تَحْلُمُ بالحُصُول عليها، ولكنَّها كَانتْ تَخْجَلُ أنْ تَطْلُبَ اللُّعبةَ من أبيها وأُمِّها. لأنَّ اللُّعْبَةَ غالِيَةُ الثَّمَنِ، لذا قَرَّرَتْ أنْ تَدَّخِرَ كُلَّ مَصْرُوفها اليَوْمِيّ حتّى تتمكَّنَ مِنَ الحُصُول عليها، وبَعْدَ حِسَابٍ بَسِيطٍ تَبَيَّنَ لها أنَّها تَسْتَطِيعُ أنْ تَجْمَعَ الثَّمَنَ مَعَ حُلُولِ فَصْلِ الصَّيْف المُقْبِلِ، أي بعد انْتِهَاءِ العَامِ الدِّراسيّ.

ومَرَّت الأَيَّامُ بسُرْعَة.

وكانت فُلَّةُ تُحْصِي المَالَ الَّذي جَمَعَتْهُ كُلَّ شَهْرٍ، وتُخْفِيهِ في خِزَانَتِهَا الصَّغيرةِ، ولم تَبُحْ بِسِرِّها الجَمِيلِ إلاَّ لأَخِيها الأكْبَرِ بَاسِم.

وكان بَاسِمٌ يُشَجِّعُها، ويُعْطيها أحْياناً مِنْ مَصْرُوفه لأنه يُحِبُّها كثيراً، ولكنَّها غالباً كانت تَرْفُضُ حَتَّى لا تُؤْذِيَ أَخَاها وتقولُ لَهُ إنَّ هذا شَأْنها ولا يَهُمُّ الوَقْتُ، والمُهِمُّ أنها سَتَحْصُلُ على لُعْبَتها في النهاية.

في اليوم المَوْعُودِ، وبعد أن جَمَعَتْ فُلَّةُ المَالَ اللاَّزِمَ لشِرَاءِ اللُّعْبة، خَرَجَتْ بعد اسْتِئْذَانِ أبيها وأُمِّها وذَهَبَتْ إلى مَحَلِّ اللُّعَبِ القَريبِ مِنْ مَنْزِلِهَا، وطَلَبَتِ اللُّعْبَةَ الَّتي طالما انْتَظَرَتْها، وبلَهْفَةٍ شَديدةٍ حَمَلَت الكِيسَ دون أن تَنْظُرَ ما بدَاخِلِهِ، ودَفَعَتِ المَالَ للبائعِ ورَكَضَتْ إلى المَنْزِلِ.

دَخَلَتْ فُلَّةُ غُرفَتَها، وتَبِعَها أَخُوها الصَّغِيرُ جَاسِمٌ، وما أَنْ فَتَحَتِ الكِيسَ وأَخْرَجَتِ اللُّعْبَةَ حتى كانت المفاجأةُ؛ لَقَدْ أخْطَأَ البائعُ، وَوَضَعَ لُعْبةً ثانيةً، ما أَنْ رآها جَاسِمٌ حتَّى ظَنَّ أنَّها له وصَاحَ من شِدَّةِ الفَرَحِ لأنها لُعْبَةٌ يُحِبُّها كثيراً، ولطالما تَمَنَّى أنْ يَحْصَلَ عليها، وكان يقولُ ذلك لأُخْتِهِ دائماً.

قَبَّلَ جاسمٌ أُخْتَه وشَكَرَها، فقد ظَنَّ أنها حَقَّقَتْ له حُلْمَهُ بالحُصُول على هذه اللُّعْبَةِ.

سَكَتَتْ فُلَّةُ، أَعْطَتْ أخاها اللُّعْبَةَ، وتَرَكَتْهُ يلعبُ بها ثم

انْزَوَتْ في رُكْنٍ بعيدٍ وراحتْ تُسَلِّي نَفْسَها بقراءةِ بَعْضِ القِصَصِ، فهي لا تُريدُ أن تكْسِرَ خَاطِرَهُ وتُعِيدَ اللُّعْبَةَ للبائعِ حتَّى تَحْصَلَ على اللُّعْبَةِ التي تُرِيدُها.

في المَسَاءِ، اجْتَمَعَتِ الأُسْرَةُ وكان حِوَارٌ:

مَبْرُوك يا جَاسِم، قالت الجَدَّةُ الطيِّبةُ، ما أَجْمَلَ هذه اللُّعْبَةَ، إنَّ فُلّة تستحقُّ منك قُبْلَةً كبيرةً.

لقد قَبَّلْتُها يا جَدَّتي، قال جَاسِمٌ بسعادةٍ بالغةٍ، وسوف أَظَلُّ مُمْتَنّاً لها طِوالَ حياتي.

وابْتَسَمَتْ فُلَّةُ وأَخْفَتْ حُزْنَها، فهي لا تُرِيدُ أَنْ تَجْرَحَ شُعُورَ أَخِيها وتَسْلُبَ منه فَرْحَتَهُ الكَبِيرةَ.

في هذه الأَثْناءِ كان باسمٌ الأخُ الأكبرُ يراقبُ ما يَحْدُثُ دون أنْ يَتَكَلَّمَ.

فَكَّرَ بَاسِمٌ، ما الَّذي جَعَلَ فُلَّةَ تَتَخَلَّى عن حُلُمِهَا بعد أَشْهُرٍ طَويلةٍ حَرَمَتْ فيها نَفْسَهَا من كُلِّ شيءٍ، ولم يَكُنْ يعرفُ أَنَّ فُلَّةَ أحضرَتِ اللُّعبةَ بشكلٍ خاطئٍ.

فهَمَسَ لفُلَّةَ دون أن يَسْمَعَهُ أَحَدٌ: وأَيْنَ لُعْبَتُكِ يا فُلَّةُ؟

قالتْ: أرجوكَ لا تَقُلْ شيئاً، المُهِمُّ أنْ يَفْرَحَ جَاسِمٌ،

فأنا لا أريدُ أن أُحطِّمَ قَلْبَهُ.

تأمَّل باسمٌ ما قالته فُلَّة، لعلَّه فَهِمَ أنها فَضَّلَتْهُ على نَفْسِهَا.

كان الوالدان يُراقبانِ ما يَحْدُثُ بهُدُوءٍ.

نَظَرَ باسمٌ إليها، فهزَّتِ الأمُّ رَأْسَها وتَبَسَّمَ الأَبُ بفَرَحٍ:

يا لها مِنْ أُسْرَةٍ مُتجانِسَةٍ مُتفاهِمَةٍ.

ولَمَحتِ الأُمُّ دمعةً تَترَقْرَقُ في عَيْنَيْ فُلَّةَ.

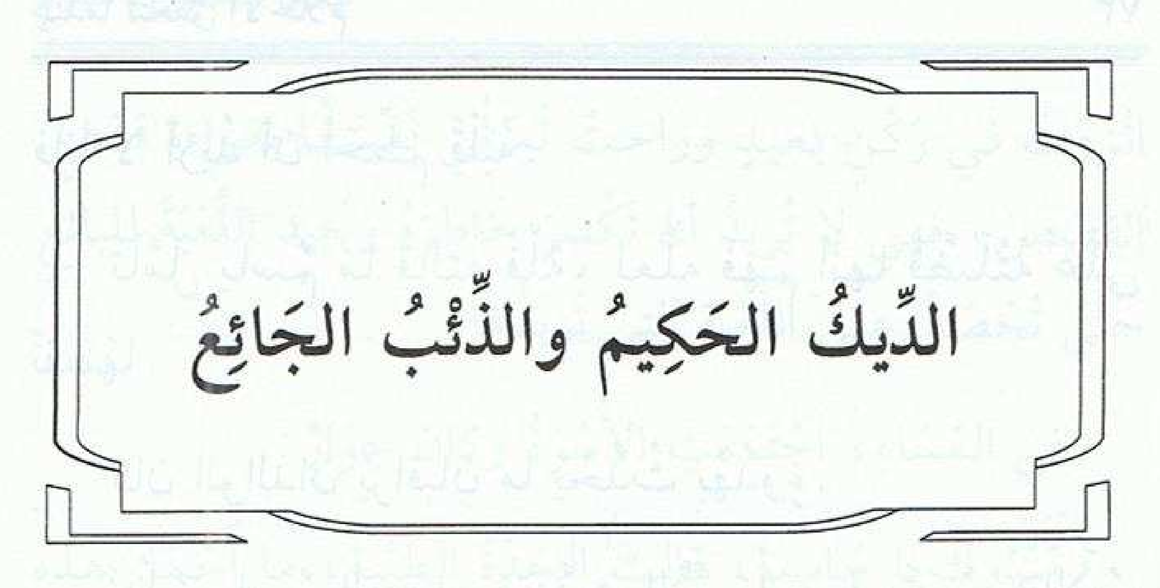
استأذنتْ فُلَّةُ وراحتْ تقرأُ بَعْضَ قِصَصِها الجَميلةِ.

في اليَوْمِ التَّالي استيقظتْ فُلَّةُ على مفاجأةٍ جَمِيلةٍ لم تَكُنْ تتَوَقَّعُها.

أَيْقَظَهَا جاسمٌ وقَدَّمَ إليها اللُّعْبَةَ التي كانت تَحْلُمُ بها، وقَالَ لها: لقد خَرَجْتُ أنا وأمِّي وأَبي في وَقْتٍ مُبَكِّرٍ هذا الصَّباحَ وأَحْضَرْنا لَكِ هذه اللُّعْبَةَ التي تُحِبِّينَها.

لم تتمالكْ فُلَّةُ نَفْسَها وراحتْ تَبْكي من الفَرَحِ.

إنَّها بالفِعْلِ أُسْرَةٌ رَائِعَةٌ.



الدِّيكُ الحَكِيمُ والذِّئْبُ الجَائِعُ

هَبَّ الديكُ من نَوْمِه قُبَيْلَ الفَجر مَذْعوراً.

صَوْتٌ فظيعٌ يقتربُ.

يبدو أنَّه ذئبٌ جَائعٌ يَدُورُ بَحْثاً عن فَرِيسَةٍ. وَضَحَ الصوتُ، وتأكّد الديكُ أَنَّهُ لا شَكَّ في ذلك.

صاحَ الديكُ..

انْهَضُوا انهَضُوا..

اسْتَيْقَظَتِ الدَّجاجةُ وقَامَ الكَتاكِيتُ ظَنّاً منهم أَنَّ الصُّبْحَ قد طَلع. لكنهم لاحَظُوا أَنَّ الذُّعْرَ يسيطرُ على الدِّيكِ.

قَالَتِ الدجاجةُ: ما الأمْرُ، ماذا هناك؟

أَسْرِعُوا، قال الديكُ، لا وَقْتَ لِنُضَيِّعَهُ، هَلُمُّوا نختبىء بسُرْعة، وما كادت الدجاجةُ تفتحُ مِنْقَارها للكَلام حتّى سَمِعَتْ صَيْحَةً من خَلْفِ تَلّةٍ قريبةٍ، فلم تَعُدْ بحَاجةٍ لتَسْأَل

عن الأمر، إنّه الذِّئْبُ، الذئبُ، هيَّا يا أولادي ارْكُضُوا.

ورَكَضَ الجميعُ باتِّجاه المَغَارةِ، وكان الديكُ قد جَهَّزَها تَرَقُّباً لِمثْلِ هذه المواقف، وصَنَعَ لها باباً قويّاً لِحِمَايَةِ زوجته وأولاده من الأخْطَارِ، فقد كان الديكُ مُدْرِكاً أنه لا بُدَّ من تَوَقُّعِ الخطَرِ، ولم يَتْرُكِ الأُمُورَ تجري هكذا، بل أَعَدَّ العُدَّةَ اللاّزمةَ، تَحَسُّباً للطوارىء.

أغلقَ الديكُ النَّبيهُ بابَ المغارة بإحْكَام شديدٍ، وضَمَّ أولادَهُ تحت جَنَاحَيْهِ وجَلَسَتِ الأمُّ بجوارِه، وراح الجميعُ ينتظرون رَحِيلَ الذِّئْبِ.

عَرَفَ الذئبُ بمكان وُجُودِ العائلةِ المسكينةِ وشَرَعَ يَصِيحُ ويَنْهَشُ البَابَ بأسنانه، ويَضْرِبُهُ بيَده، ويَحْفُرُهُ بمَخالِبِهِ ويَدْفَعُهُ بجِسْمِه، وبَقِيَ على هذه الحال مُدَّةً من الزَّمَنِ، لكن هذا كله لم يَنْفَعْهُ بشيءٍ فالبابُ مُحْكَمُ الإِغْلاقِ.

خَافَتِ الأمُّ عَلَى صِغَارِها، ورَاحَتْ تَدْعُو الله أن يُنْقِذَهُم ممَّا هُمْ فيه.

قال الديكُ بعد أن شَكَرَ الله وحَمِدَهُ: لا تَجْزَعُوا يا أَحِبَّائي، لقد صنعتُ هذا البابَ لحِمَايَتِكُم مِنَ الحيواناتِ المفترسةِ، وساعَدَني بصُنْعِهِ بَعْضُ أصدقائنا الحيوانات،

مِنَ الخَشَبِ القَوِيِّ حتى لا يتمكَّنَ من تَحْطِيمِهِ أكثرُ الحيوانات ضَخَامَةً وشَرَاسَةً، وسوف يَمَلُّ الذئبُ ويرحلُ بعد قليلٍ.

وخَابَ أملُ الدِّيكِ، وظَلَّ الذئبُ خارجَ المَغَارَةِ يصيحُ ويَرُوحُ ويَجِيءُ حتى طَلَعَ الصُّبحُ وراحَ الصِّغَارُ يَبْكُونَ من شِدَّةِ الجُوعِ، وظَنُّوا أنهم سيموتون دَاخِلَ المَغَارة.

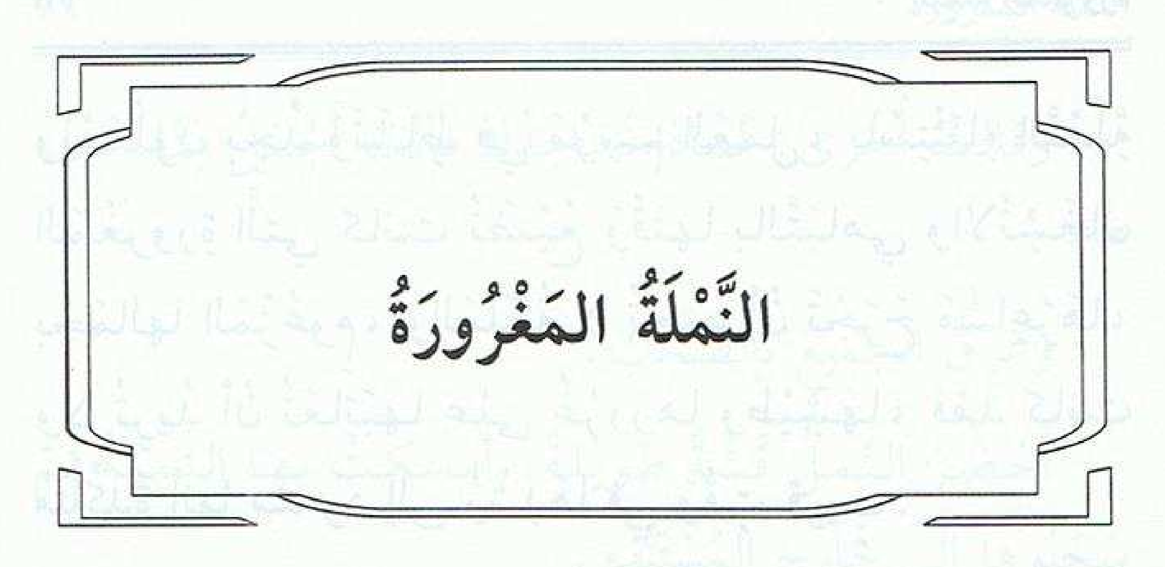
أَسْرَعَ الدِّيكُ، وراح يَحْفُرُ الأَرْضَ، وبعد قليلٍ ظَهَرَ مخزن صَغِيرٌ للقَمحِ الجَافِّ أَعَدَّهُ الديكُ منذ فترة تَحَسُّباً للظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ، ثم أَحْضَرَ لهم قليلاً مِنَ الماء من داخِلِ المَغَارَةِ، فأَكَلُوا وشَرِبُوا.

وظَلُّوا بِضْعَ سَاعاتٍ على هذه الحَالَةِ، ثم خَرَجَ الدِّيكُ يَسْتَطْلِعُ المَكَانَ وبعد أن تَأَكَّدَ مِنْ رَحِيلِ الذِّئبِ فَتَحَ البابَ لِصِغَارِهِ فخَرَجُوا يَلْعَبُون ويَضْحَكون.

قالت الأمُّ للدّيكِ: كنت أَسْتَغْرِبُ بالماضي الجُهْدَ الَّذي تَبْذُلُهُ لتَحْصِينِ المَغَارةِ، لقد كُنْتَ حكيماً وذكيّاً.

قال الديكُ: أنا أخافُ على أولادي مِثْلك تماماً، لذلك كان واجباً عَلَيَّ أن أُهَيِّىءَ لَهُمُ المَلْجَأَ الآمِنَ عند حُدُوثِ الخَطَرِ.

نَظَر الديكُ إلى أولاده، وصَاحَ بفَخْرٍ وسُرُورٍ.



النَّمْلَةُ المَغْرُورَةُ

النَّمْلُ يا أَحِبَّائي مِنْ أَنْشَطِ مخلوقاتِ الله، وأَكْثَرِهَا صَبْراً ودَأْباً ومُثَابَرَةً، ومُجْتَمَعُ النَّمل من أَكْثَرِ المُجْتَمَعات تَرْتِيباً وتَنْظِيماً وتَعَاوُناً.

وسَأَرْوي لَكُمْ قِصَّةً طَرِيفَةً، عن نَمْلةٍ كانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّها أَجْمَلُ نَمْلةٍ في الدُّنيا، وكانت تَتَبَاهَى بنفسها أَمَامَ كُلِّ النَّمْلِ في المملكة، حتى أصابها الغُرُورُ ورَاحَتْ تَتَعَالَى بكِبْرِيَاءٍ على كُلِّ أَخَوَاتِها وصَدِيقَاتِها.

أنا جَمِيلةٌ جدّاً، أَنَا أَجْمَلُ نَمْلَةٍ في الوُجُود، تَرَلَّلاً لا، تَرَلَّلاً لا، هَكَذَا كَانَتْ تَدُورُ بالحُقُول وتُغَنِّي، وكان النَّمْلُ يُشْفِقُونَ عَليها لأنّهم يعلمون أَنَّ عَاقِبَةَ الغُرُورِ وَخِيمَةٌ.

وكانتْ مَلِكَةُ النَّمل تُراقِبُ النَّمْلَةَ المغرورةَ، ولا تَدْري ماذا تفعلُ، فهي تُحِبُّها، لا لأنها جَمِيلةٌ، فَمَلِكَةُ النَّمْل تُحِبُّ كُلَّ رَعَايَاهَا دون تَفْرِيقٍ بينهم، وهم يُخْلِصُونَ لها،

ويَعْمَلُون بِجِدٍّ ونَشَاطٍ في مَوْسِم العَمَل، باسْتِثْنَاءِ النَّمْلَةِ المَغْرورةِ الَّتي كانت تُضَيِّعُ وَقْتَها بالتَّباهي والانْشِغَال بجَمَالها المَزْعُوم، والمَلكةُ لا تُحِبُّ أنْ تَجرَحَ مَشَاعِرَهَا، ولا تُرِيدُ أنْ تُعَاتِبَها على غُرُورِها وطَيْشِهَا، فقد كانت متأَكِّدَةً أنها ستعود إلى رُشْدِهَا في وَقْتٍ قريبٍ.

وصَحيحٌ يا أصدقائي أنَّ النملةَ قد تكون جَمِيلةً بل قد تكونُ أَجْمَلَ نملةٍ في المَمْلَكَة، لكنَّ هذا لا يَعْني أنْ تَغْتَرَّ بجَمَالها وتَتَعَالَى على كُلِّ مَنْ في المَمْلَكة.

وفي أَحَدِ الأيَّام، خَرَجَتِ النَّمْلَةُ كعادتها في كُلِّ صَباحٍ، تُغَنِّي وتَتَمَايَلُ مَعَ الوُرُودِ في الحَقْل المُجَاوِرِ، بينما سَائِرُ النَّمْلِ يعملُ دُون هَوَادَةٍ، وكانوا يَنْظُرون إليها ويَضْحَكُون في سِرِّهِمْ.

وفيما كانت النَّملةُ تَخْتَالُ رَافِعَةً رَأْسَها، فَجْأَةً، سَقَطَتْ في مُسْتَنْقَعٍ صَغيرٍ، وراحتْ تَصِيحُ، أَنْقِذُوني، أَنْقِذُوني.

لم يَتَمَالَكْ جَمِيعُ النَّمْلِ أَنفُسَهُم، وراحوا يَضْحكون بصَوْتٍ عالٍ، وهم يُشَاهِدُون النَّمْلَةَ وهي تُصَارِعُ المَاءَ المُوحِلَ وتُحاولُ إنْقاذَ نَفْسِها.

فقالتْ نملةٌ: هيَّا أَنْقِذي نَفْسَكِ أيتها النملةُ الجَمِيلةُ.

وقالتْ أُخْرى : لماذا نُسَاعِدُكِ فأنْتِ أَجْمَلُ مِنَّا ، ها ، ها .

وغَرِقَ الجميعُ بالضَّحِكِ .

أَحْضَرَ النَّملُ قَشَّةً طويلةً ، أمسكتْ بها النملةُ ثمَّ سَحَبُوها إلى خارج المُسْتَنْقَع .

وكان مَنْظَرُ النَّملةِ مُضْحكاً فعلاً ، فخَجِلَتْ مِنْ نَفْسها ، واعتذرتْ من صَدِيقاتها وأخَوَاتها ومن سائر أفراد المَمْلكة .

ومنذ ذلك اليوم عَادَتِ النَّمْلةُ عن غُرُورها وأصبحت عُضْواً فاعلاً تعمل بِجِدٍّ ونَشاطٍ ولا تتَبَاهى بجَمالها .

اللُّعْبَةُ المِسْكِينَةُ

زَهْرَةُ.. يا طِفلَتي الحُلْوَةُ.

يا سُنبُلَةَ مِنْ ذَهَبٍ، يا قِطْعَةَ أُرْجُوانٍ، يا ضَوْءَ سَمَاءٍ.. انْسَكِبْ.

الأُمُّ تُغنّي... وزَهْرَةُ تَسمَعُ الغِنَاءَ... وتَلْهُو بلُعْبَتِها المُفضَّلة.. وهي على شَكْلِ عَرُوسَةٍ بفُسْتَانها الوَرْدِيِّ الجَميلِ.

تمضي زهرةُ إلى هنا وهناك وتدخلُ غُرْفَةَ الجُلُوس، وكان التِّلْفازُ ينقلُ خبراً مِنْ بَعِيدٍ... أَطْبقَتِ الطِّفْلَةُ جَفْنَيْها على عَجَلٍ، ثم عادتْ وفَتَحتْهُما... دِماءٌ وأشْلاءٌ.. فأسرعتْ نحو التِّلْفاز ولَطَمَتْهُ بلُعْبَتِها المِسْكِينةِ.

أنا ما حِبِّكْ.

ماما... حَرَامْ.. عمُّو مُوتْ.

يا للطِّفْلَةِ البَريئةِ.. يا حَبِيبَتي! قالتها الأُمُّ وهَرَعَتْ

إليها من الغُرْفَة المُجَاوِرَة وأَطْفَأَتِ التِّلْفاز. . تَعالَيْ يا زهرتي. . تَعالَيْ مَحْبُوبتي الصَّغِيرَة. . ابْتَعِدِي عن التِّلْفاز ما بالُ لُعْبَتِكِ تَبْكي. . أَحْضِرِيها مَعَكِ وهَيًّا بنا إلى الشُّرْفَةِ.

ـ لم تَكَدِ الأمُّ تَفْتَحُ فَمَهَا. . أولادٌ يتراشَقُون بالحِجَارَة بالشَّارِع. . ويتبادَلُون اللَّكَمَاتِ والشَّتَائِمَ والسِّبَابَ. . . وصَوْتُهُمُ المُزْعِجُ أَرْعَبَ الطِّفْلَةَ الصَّغيرةَ.

يا زهرتي النَّقِيَّة. . يا أَحْلَى أُنْشُودَةٍ عَزَفَتْهَا يَدُ الأحْلام. . لا تُلْقي يا طِفْلَتي بَالاً لهؤلاء ولا تَقْلَقي (وتَضُمُّ الأُمُّ طِفْلَتَها بحَنَانٍ إلى صَدْرِها).

صُحْبَةُ الأُمِّ رَائِعَةٌ وحَنَانُها أَرْوَعُ. . اطْمَأَنَّتْ زَهْرَةُ. . أَبْعَدَتْها قَلِيلاً وقَلَبَتِ الطِّفلةُ شَفَتَيْها.

* * *

ـ ماما. . . لماذا تلكَ الدِّماءُ؟ وهذا السِّبابُ؟ حرامٌ. . حرامٌ. . الأمُّ تُغَنِّي لابنتها. . زَهْرَةُ لم تَعُدْ تُحِبُّ الغِنَاءَ. . تَرَكَتْ أُمَّها وراحَتْ قُرْبَ التِّلْفاز. . . نَهَرَتْها الأمُّ بحَنَانٍ. . . لم تَقْبَلِ التَّوْجِيه. . لَطَمَتِ التِّلْفازَ مرَّةً ثانية بلُعْبتها المِسْكينة.

ـ الأمُّ بهُدُوءٍ: حَرامٌ العَرُوسَةُ.

- البنتُ الغَضبى بانْفِعالٍ: حرامٌ؟ لأ مُو حَرَامْ.

لم تَدْرِ الأمُّ ما تَفعَلُ.. فهي تَعْلَمُ أنَّ الضَّرْبَ في التَّرْبيَةِ لا يُفِيدُ إلاّ في حالاتٍ قليلةٍ.. وزهرةُ فتاةٌ صغيرةٌ لم تَتَجاوَزِ الثّلاثَ سَنَوَاتٍ من عُمْرِها.. وضَرْبُ مَنْ في سِنِّها جَرِيمَةٌ.

- الأمُّ برَصَانَةٍ وجِدِّيَّةٍ: اهْدَئي يا ابنتي.. وتعالَيْ إلى حِضْني.

- زهرةُ بتَمرُّدٍ... رَمَتْ لُعْبَتَها على الكَنَبَةِ.. وأَلْقَتْ بنفسها على الأرْضِ... ثم صَاحَتْ وكَشَّرَتْ عن أنْيابٍ لم تَشْتَدَّ بَعْدُ.. وراحَتْ تَرْشُقُ لُعْبَتَها برَصَاصٍ صَوْتيٍّ من مُسَدَّسٍ وَهْمِيٍّ صَنَعَتْهُ بأصَابع يَدِها.. ثمّ أَطْلَقَتْ ضِحْكَةً عاليةً.

- تَأَمَّلَتِ الأُمُّ ما يَحْدُثُ باسْتِغرابٍ.. لا بُدَّ أَنَّني أَطْلَقْتُ العِنانَ لها بمُشَاهَدَةِ ما تَرْغَبُ مِنْ بَرَامِجَ تِلِفزْيُونِيَّةٍ.

اقْتَرَبَتْ مِنْ زَهْرَةَ.. وداعَبَتْ بيديها خُصْلَةً من شَعْرِها.

- يا زهرتي الحُلْوَةُ.. يا كُلّ أنْفَاسي وأَفْراحي.. هَلاَّ أَخْبَرْتِني ما الذي تَفْعَلِينَهُ؟

- أنا بُو لِيث (شُرْطِيَّة)... إمْسِكْ حَرَامي.. ماما.. أنا عطشانة.

أَحْضَرَتِ الأمُّ كُوباً مِنَ المَاء. . شَرِبَت البِنْتُ الصغيرةُ قليلاً منه ثمّ أَلْقَتِ الكُوبَ على الأرض وانْتَشَرَ الماءُ والزُّجَاجُ في أنحاء الغُرْفَةِ. . وضَحِكَتْ بصَوْتٍ عالٍ.

ـ بسيطة. . لكن ما سِرُّ هذا التَّغْيِيرِ يا رَبِّي. . مِنْ أين كُلُّ هذه الشَّرَاسَةِ. . وطِفْلَتي لم تَتَجَاوَزِ الثَّلاث سَنَوَاتٍ من عُمْرِهَا. . . ونحنُ أنا وأَبُوها فقط معها في المَنْزِلِ. . وهي لا تَخْرُجُ إلى الشَّارِعِ.

* * *

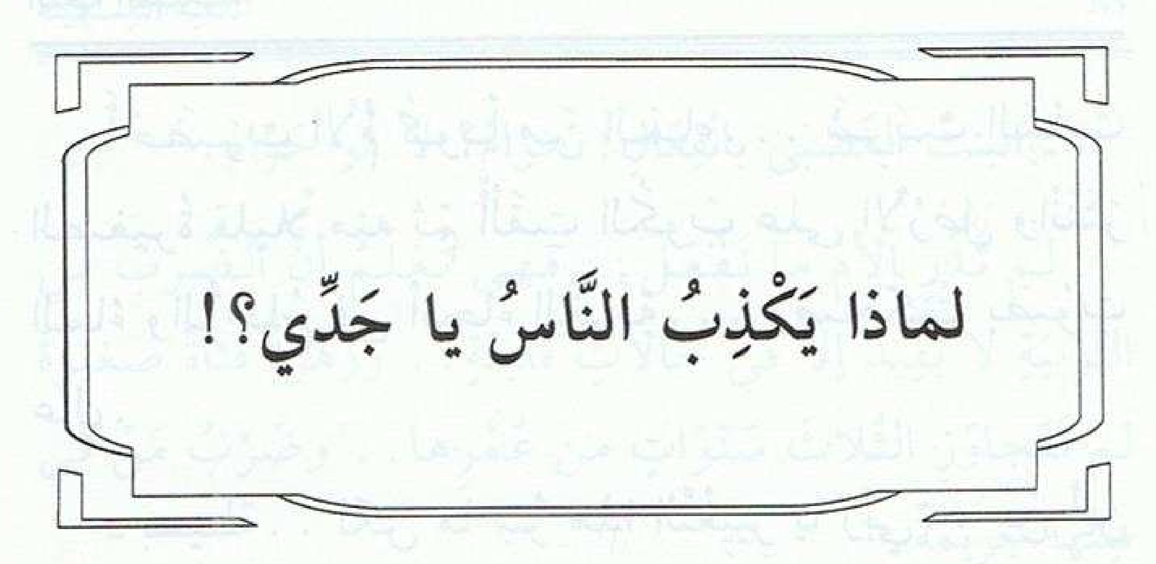
(بعد قليل) دُقَّ البَابُ. . هَيَّا يا حبيبتي تعالي لِنَفْتَح البابَ لقد جاءَ أَبُوك. . تَصْرُخُ البنتُ مِنَ الفَرَحِ.

الأَبُ بانْدِهَاشٍ: ما كُلُّ هذا الحُبِّ يا طفلتي الرَّائعة؟!

يَحْضُنُها بيَدَيْهِ بعد أن يَضَعَ حَقِيبَتَهُ على الأَرْضِ ويَحْمِلُها إلى الأَعْلى.

الأمُّ تتأمَّلُ هذا المَشْهَدَ بإشراقةٍ مِنْ عينيها.

ـ بابا، أنا بُو لِيث. . أنا بُو لِيثْ أنا أَقْتُلْ حَرَامي. . يَضحكُ الأبُ ويَتَبَادَلُ مَعَ زَوْجَتِهِ نظراتِ الاسْتِغْرَابِ.



لماذا يَكْذِبُ النَّاسُ يا جَدِّي؟!

مَيْسَاءُ تُمْسِكُ لِحْيَةَ جَدِّها البيضاءَ وتُدَاعِبُها بغُنْجٍ ودَلالٍ، وَجدُّها الطَّيِّبُ يَسْكُبُ عَبَرَاتِ الفَرَحِ، وتَشُعُّ عيناهُ بنُورِ المَحَبَّةِ التي يَكْتَنِزُها لحَفِيدَتِه.

مَيْسَاءُ لم تَعُدْ صَغِيرةً، لقد أصبحتْ كالوَرْدَةِ المُتَفَتِّحَةِ الباسمةِ المُتَكِئَةِ على كَوْمَةِ عُشْبٍ كَأَرْوَعِ ما يَكُونُ.

- جَدِّي.

- نعم، يا طِفْلتي الرَّائعة.

- صَمْتٌ وتَفْكِيرٌ... لماذا يكذبُ النَّاسُ يا جَدِّي؟

يَبْتَسِمُ الرجلُ العَجُوزُ، ويَضَعُ كَفَّهُ على رأْسِ الطِّفْلة:

- ولِمَ هذا السؤالُ الغريبُ يا ميساءُ؟

- ألا تُرِيدُ أنْ تُغيِّرَ عَادَاتِكَ... أَسْأَلُكَ سؤالاً فترُدُّ بسُؤَالٍ؟

ـ عُذْراً يا حَبيبَتي، لكنَّك اتَّهَمْتِ النَّاسَ كُلَّهُم بالكَذِب. وهذا شيءٌ لا يُعَمَّمُ، وكيف عَرَفْتِ أنّ الناسَ يَكْذِبُون؟

ـ يا جَدّي، أَنَسِيتَ أنّي أصبحتُ كبيرةً وأعرفُ كُلَّ ما يَدُورُ حَوْلي، ثم أنتَ تسألُ كثيراً بينما أنا سألتُ سؤالاً واحداً.

ـ هَدِّئي مِنْ رَوْعِكِ يا بُنَيَّتِي، أنا أحاولُ أنْ أفهمَ ماذا تريدينَ أنْ تَعْرفي، وأن أَعْرِفَ سِرَّ سُؤَالِكِ، وبعد ذلك أُجِيبُكِ جواباً وَاضحاً مُحَدَّداً.

ـ لقد عَلَّمْتني يا جَدِّي أنْ نَكُونَ أَصْدِقَاءَ، ورَغْمَ أَنِّي كَبِرْتُ وأَصْبَحَ عُمري عَشْرَ سِنِينَ ما زِلْتُ أشعرُ أَنِّي طِفْلَةٌ صغيرةٌ عندما أكونُ مَعَكَ.

ـ لكنَّكِ ما زِلْتِ صغيرةً فعلاً.

ـ لا يا جَدِّي لقد كبرتُ.

يضحكُ العجوزُ بسعادةٍ بالغةٍ، لقد كَبِرَتِ الصَّغِيرَةُ، لقد كَبِرَتِ الصَّغِيرَةُ.

ـ أنا أُلاحِظُ كثيراً مِنَ النَّاسِ يَكْذِبُونَ في كُلّ مَكَانٍ،

وخُصُوصاً زميلاتي في المَدْرَسة، هُنَّ يَكْذِبْنَ خَوْفاً من العِقابِ أو طَمَعاً بثَوابِ، وكذلك نَرى الباعَة يَكْذِبُون أحياناً، تَسْكُتُ الفتاةُ قَليلاً ثم تقولُ ورَأْسُها إلى الأَرْضِ:

ـ هَلْ تَعْلَمُ يا جَدِّي أَنَّ أبي يكذبُ أيضاً؟ لقد قالَ لي بالأَمْسِ عندما اتَّصَلَ أَحَدُ مَعارِفِه أنْ أَقُولَ له إِنَّهُ غيرُ موجودٍ. . .

نَظَرَ الجَدُّ إلى الفتاةِ وقال لها برِفْقٍ:

ـ وأنْتِ يا حبيبتي ألاَ تكذبين؟

احْمَرَّ وَجْهُ مَيْساءَ، ولم تُجِبْ جَدَّها. . فقال:

ـ الكَذِبُ يا بُنَيَّتي مِنْ أَسْوَأ الخِصَال، وهو من صِفَاتِ المُنَافِقِ، والصِّدْقُ مَنْجاةٌ، وقد عَلَّمَنا إسلامُنا العظيمُ أنْ نَقُولَ الحَقَّ ولو على أَنْفُسِنا، كما أن الشَّرائِعَ السَّماوِيَّةَ كُلَّها تَذُمُّ الكَذِبَ وتَرْفُضُهُ، حَتَّى من لا يلتزمُ بالدِّينِ، إنْ كان خَلُوقاً يرفضُ الكذبَ ولا يُمارِسُه.

ـ أنا أعرفُ كُلَّ ذلك يا جَدِّي، أما زِلْتَ تَظُنُّ أَنَّني صغيرةٌ؟ لستُ أسألُكَ عن هذا، قلتُ لكَ لماذا يكذبُ الناسُ كثيراً في هذه الأيّام؟

ـ قُلْتِ لي إنَّكِ كَبِرْتِ، فأنْتِ إِذَنْ تعرفين الجوابَ لقد قال الشاعرُ يا بُنَيَّتي:

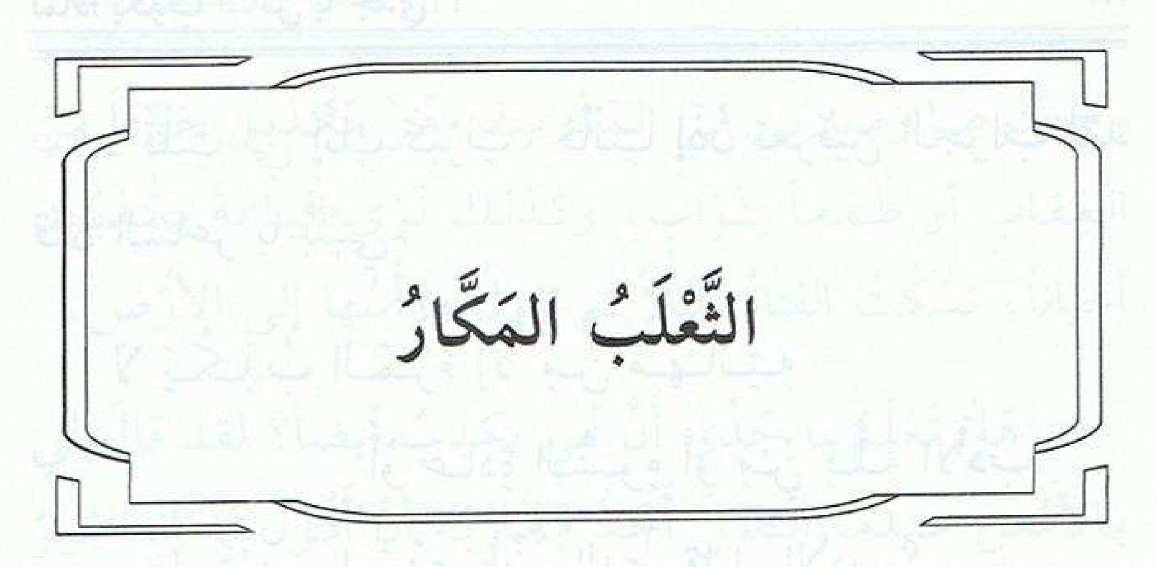
لا يَـكْـذِبُ الـمَرْءُ إلاَّ مِـنْ مَـهَـانَـتِـهِ
أَوْ عَـادَةِ الـسُّـوءِ أَوْ مِـنْ قِـلَّـةِ الأَدَبِ

ـ هل تَعْني يا جَدّي أنَّ وَالِدِي قليلُ الأدب؟

ـ لا أَعْني هذا تماماً، فما فَعَلَهُ وَالِدُكِ ليس معناه كَذِباً مَقْصُوداً لذَاتِه، رُبَّما لا يريدُ أن يُحَادِثَ هذا الإنسانَ لسَبَبٍ ما، ورُبّما يريدُ أن يرتاحَ في بيته ولا يريدُ أنْ يَنْقُلَ عَمَلَهُ إلى المَنْزلِ، وهذا مِنْ حَقِّهِ، ولكِنَّ الكَذِبَ المَرْفُوض تماماً هو الكَذِبُ الّذي يُعْتَبَرُ غِشّاً وخِدَاعاً ويُسِيءُ للآخرين، كَمَنْ يَغُشُّ في بِضَاعَتِهِ ويقولُ إنَّ البِضَاعَةَ سَلِيمَةٌ، وكَمَنْ يُخفي عُيُوبَ سَيَّارته التي يُريدُ بَيْعَهَا، وكذلك الذي يَكْذِبُ لِيَضُرَّ الآخَرين.

لذا يا حَبيبتي، ومَعَ أَنّي أَرْفُضُ الكَذِبَ كُلَّهُ، لا نَقُولُ كُلّ النّاسِ كَذَّابُون، فهُنَاكَ الصَّادقون المُؤْمنون، الَّذِينَ يَتَحَرَّوْنَ الصِّدْقَ حتى يُكْتَبُوا عِنْدَ الله صِدِّيقِينَ.

والآن أُرِيدُ أنْ أُحادِثَ وَالِدَكِ قَلِيلاً.



الثَّعلَبُ المَكَّارُ

يُحكَى أنّ ثَعلَباً أرادَ يَوْماً أن يُصلِحَ أَمْرَهُ، ويُكفِّرَ عَنْ سَيِّئاتِه، ويُبدِّلَ مِنْ أفعالِهِ الشِّرِّيرَةِ حتَّى يَنْسَى الآخَرُون قُبْحَ مَكْرِهِ، وراحَ يَتوَدَّدُ إلى حيواناتِ الغَابَةِ، ويُشِيعُ بينها أَنَّهُ لم يَعُدْ كالسَّابق، ويُريدُ صَداقَتَهَا ومَحبَّتَهَا.

لم يُصَدِّقْ أَحَدٌ منها هذا الزَّعْمَ، فَشَعَرَ بخَيْبَةِ أَمَلٍ وقَرَّرَ مُغَادَرَةَ الغَابَةِ والرَّحيلَ إلى مَكَانٍ بعيدٍ لا تعرفُ الحيواناتُ فيه خِداعَ الثَّعالب ومَكْرَها ليَبْدَأَ حَياتَهُ مِنْ جَدِيدٍ.

سارَ أَيَّاماً طويلةً إلى بلادٍ لم يَزُرْها قَبلَهُ ثَعْلَبٌ من أَجْدادِه وكان عندما يَجُوعُ يَكْتَفي بأَكْلِ الثِّمارِ والأَعْشاب دُوْنَ رَغْبَةٍ.

وَصَلَ الثعلبُ بعد عَناءٍ إلى الغابة الجَديدةِ، وما أَنْ رَأَتْهُ الحيواناتُ حتّى اقْتَرَبَتْ منه مُرَحِّبَةً بضَيْفِها وسَأَلَتْهُ مِنْ

أينَ أَتَى ومِنْ أيِّ فَصِيلَةِ القِطَطِ البَرِّيَّةِ الكَبِيرَةِ والمُسَالِمَةِ.

أَعَدَّ الجميعُ له طَعاماً لذيذاً مِنَ الخُضَار والحَشَائِشِ، وكثيراً مِنَ الفاكهة المُنَوَّعَةِ، وأَقَامَتِ الحيوانات مَأْدُبَةً على شَرَفِ هذا الضَّيْفِ، لكنَّ الثَّعْلَبَ أَخَذَ يَأْكُلُ دون شَهِيَّةٍ فَقَدْ مَلَّ من الطَّعام الخالي من اللَّحْمِ.

أُعْجِبَتِ الحيواناتُ بفَرْوِ الثَّعْلب ورَاحَتْ تُجَامِلُهُ وتَدْعُوه إلى بُيُوتها، فقال إنّه تَعِبٌ بسَبَبِ سَفَرِهِ الطَّويلِ ويُرِيدُ أن يرتاحَ بَعْضَ الوَقْتِ.

بعد لَيْلٍ طَويلٍ، استيقظَ الثعلبُ وبَطْنُهُ تُصَفِّرُ من شِدَّةِ الجُوعِ، وكانا مُتَضَايِقاً لأنه لن يَأْكُلَ إلاَّ الخضراوات.

حَانَتْ مِنَ الثَّعْلَبِ الْتِفَاتَةٌ، فرَأَى جماعةً من الأرانب الصَّغيرةِ تَلْهُو وتَلْعَبُ بأَمَانٍ دون حَسِيبٍ أو رَقِيبٍ، وكانت عَلَى بُعْدِ خُطُوَاتٍ منه، فَسَالَ لُعَابُهُ وكاد يَقْفِزُ لِيَفْتَرِسَ هذه الوَلِيمَةَ السَّهْلَةَ لكنه ضَبَطَ أعْصَابَه وتذكَّرَ وَعْدَهُ لنَفْسِه.

وأَشَاحَ ببَصَرِهِ إلى الجِهَةِ الثَّانية، فشاهَدَ عدداً من الجِدْيانِ الصِّغَارِ تَنُطُّ هنا وهناك.

وسَمِعَ صَوْتَ البَطِّ والدَّجاج.

ورَأى الغِزْلانَ تَعْدُو.

لم يَسْتَطِع الثَّعْلَبُ أنْ يَصْمُدَ أمامَ هذه الأطعمة الشَّهِيَّة، فاقتربَ مِنَ الأرانب بعد أن نَسِيَ وَعْدَهُ، ودعاها لِرِحْلَةٍ على ظَهْرِهِ.

سُرَّتِ الأرانبُ بهذه الدَّعْوَةِ، وامْتَطَتْ ظَهْرَ الثَّعْلَبِ بِرَشَاقَةٍ، ومَشَى بها مسافةٍ حتى تَوارَى خَلْفَ صَخْرَةٍ كبيرةٍ وفجأةً انْقَضَّ بشَراهَةٍ على الأرانب وراحَ يَنْهَشُ لَحْمَها.

استطاعتْ أرْنَبَةٌ مَحْظُوظةٌ أنْ تُفْلِتَ من أنْيابِ هذا الوَحْشِ، وهَرَعَتْ إلى الغابة حيثُ باقي الحيوانات، ولم يَنْتَبِهْ إليها الثَّعلبُ فقد كان مُنْهَمِكاً بالْتِهامِ الأرانب المِسْكينةِ.

عَلِمَ كُلُّ مَنْ في الغابة بخَبَرِ الثَّعْلَبِ، وقَرَّرَت الحيواناتُ بعد التَّشاوُرِ فيما بينها حَفْرَ حُفْرَةٍ كبيرةٍ لسَجْنِ الثعلبِ فيها حتّى يَمُوتَ.

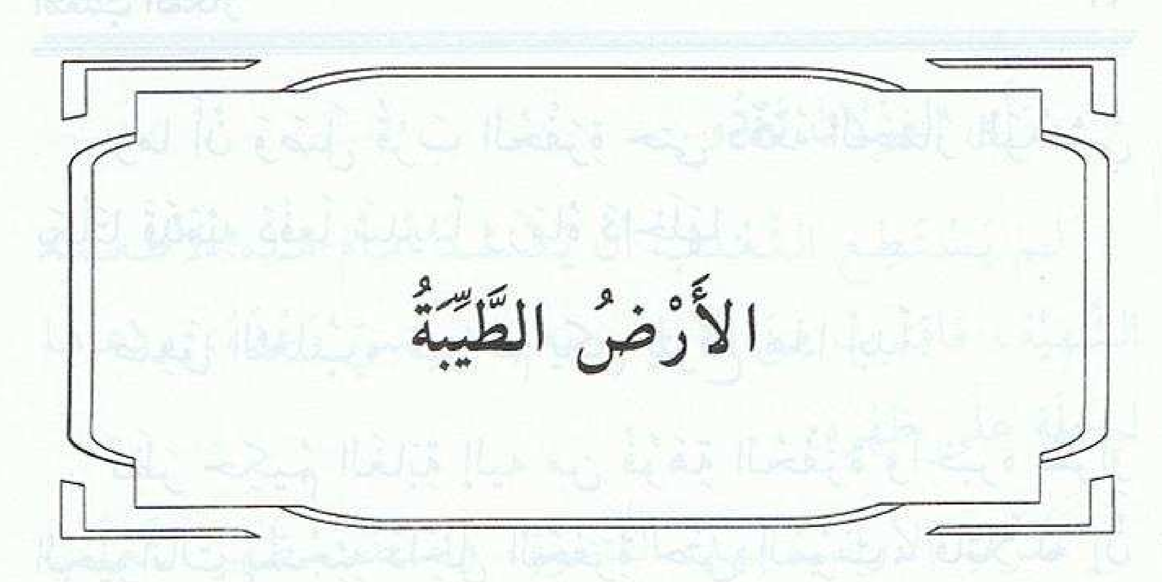
وحَفَرتِ الحيواناتُ الحُفْرَةَ ووَضَعَتِ الحَشائِشَ فَوْقَها حتى لا يراها الثعلبُ، وبعد مُدَّةٍ قصيرةٍ، جاء الثَّعلبُ مُخْتالاً بعد أن مَلأَ بَطْنَهُ، وكان سعيداً بفَعْلَتِهِ مُعْتَقِداً أنَّ عَمَلَهُ الشَّنِيعَ سيَظَلُّ سِرِّيًا.

وما أَنْ وَصَلَ قُرْبَ الحُفْرَةِ حتى دَفَعَهُ الحِمارُ الوَحْشِيُّ بكِلْتَا قَدَمَيْهِ دَفْعاً شَديداً ورَمَاهُ دَاخِلَهَا.

صُعِقَ الثعلبُ، فهو لم يكن يتوقَّعُ هذا أبداً.

نَظَرَ حَكِيمُ الغَابَةِ إليه من فُوَّهَةِ الحُفْرة وأخبره بقَرارِ الحيوانات بسَجْنِهِ دَاخِلَ الحُفْرَةِ حتّى المَوْتِ، قائلاً له إنَّ قَانُونَ الغَابة المُسَالِمَةِ يَمْنَعُ الشَّنْقَ، ولو كان يُسْمَحُ لكُنَّا نَفَّذْنا بك حُكْمَ الإعْدَامِ بسَبَبِ ما اقْتَرَفْتَهُ مِنْ ذَنْبٍ.

وراحَ الثعلبُ يَعْتَذِرُ ويتوسَّلُ بأنه لن يُكَرِّرَ فَعْلَتَهُ مَرَّةً ثانيةً، لكنَّ الحيواناتِ رَفَضَتِ الاسْتِمَاعَ إليه، فقد عَلِمَتْ أَنَّ طِبَاعَهُ لن تَتَغَيَّرَ وأَنَّه سيَبْقَى ثَعْلباً مُفْتَرِساً وهذا جزَاءٌ يَسْتَحِقُّهُ حتّى لا يُؤْذِيَ أحداً مَرَّةً أُخْرَى، ويَكُون عِبْرَةً لغَيْرِهِ.



الأَرْضُ الطَّيِّبَةُ

بَعْدَ صَلاةِ فَجْرِ كُلِّ يَوْم، وبَعْدَ أنْ يَعُودَ أَبي مِنَ المَسْجِدِ، يَنْصَرِفُ إلى حديقةِ المَنْزِلِ، يَسْقي وُرُودَها، ويُشَذِّبُ أعْشابَها ويَقْطِفُ ثِمارَها ويَرُشُّ السَّمادَ والدَّواءَ بلا تَوانٍ أو كَسَلٍ.

هكذا هو أبي، ومنذ أن تَفَتَّحَتْ عَيْنايَ على الدُّنْيا وأنا أُمَتِّعُ ناظِرَيَّ كُلَّ يَوْمٍ بجمالِ حَدِيقَتِنا حيث نَلْهُو أنا وأُخْتي زَاهِرَةُ بفَرَحٍ وسَعَادَةٍ ونقضي أَجْمَلَ أوقاتنا وأَحْلاها.

اليَوْمَ كَشَفَ لي أبي عن سِرِّ هذا الحُبِّ بينه وبين حديقتنا الجَمِيلةِ.

قال لي أبي:

إسْمَعْ يا زَاهِرُ، ربما أنْتَ تستغربُ كُلَّ هذا الاهْتِمامِ الَّذي أُكَرِّسُهُ لحديقةِ المَنْزِلِ.

أَنْتَ تعلمُ أنَّ الله تعالى خَصَّ الإنسانَ بشيءٍ عَظِيمٍ لم

يُعْطِهِ لأَحَدٍ من المَخْلُوقاتِ، لقد جَعَلَهُ الله تعالى خَلِيفَتَهُ في هذه الأَرْضِ الّتي هي كُلُّها ليست بشيءٍ يُذْكَرُ في الكَوْنِ الفَسِيحِ الذي لا يَعْلَمُ حُدُودَهُ إلاَّ الله ومَنْ شَاءَ. وإنَّ الله برغم اتِّسَاعِ مُلْكِه، لا تَغِيبُ عَنْهُ حَبَّةٌ مِنْ تُرَابٍ أو جَانِبٌ مِنْ جَوَانِبِ هذا الكَوْنِ المُتَرَامِي، ونحن يا بُنَيَّ أَنْعَمَ اللّهُ علينا بنِعْمَةٍ عظيمةٍ، لقد جَعَلَنَا خُلَفَاءَ له في هذه القِطْعَةِ الصَّغيرةِ التي نَمْلِكُها، وسوف نُسْأَلُ عنها إن أَهْمَلْنَاها ولم نَزْرَعْها ونُجَمِّلْها ونَحْصُدْها، فكُلُّ شيءٍ له حِسَابُهُ عند الله، ولا يَعْزُبُ عنه مثقالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ، لذا يَجِبُ ألاَّ نَسْتَصْغِرَ أَيَّ عَمَلٍ يُمْكِنُ إنْجازُهُ مهما كان تافهاً بسيطاً ما دام في طَاعَةِ الله، فالمُهِمُّ أنْ نَعْمَلَ وأنْ نُنْجِزَ.

أَنْصَتُّ إلى أبي باهْتِمام شَدِيدٍ، وتَابَعَ يقولُ: وأنا يا بُنَيَّ، أعطاني رَبِّي نِعْمَةً ما كُنتُ لأُنْكِرَها ما اسْتَطَعْتُ، إنَّها الأرضُ الطَّيِّبَةُ التي لا تَبْخَلُ على مَنْ يَبْذُلُ لها عَرَقَهُ.

فانْظُرْ إلى الأزهارِ هنا وهناك واسْمَعِ الأَطْيَارَ، وعَانِقْ تُرَابَ الأَرْضِ الرَّطْبَةِ، إنّها الجَنَّةُ نَصْنَعُها بأَيْدِينا. قلتُ لوالدي بأدَبٍ: لكنَّ الجَنَّةَ ليستْ في الدُّنْيا يا أبي؟

اسْتَدْرَكَ والدي كلامَهُ بقَوْله:

صَحِيحٌ يا زَاهِرُ، ما حَدَّثْتُكَ عن جَنَّةِ الخُلْدِ، والكَنْزِ

الذي لا يَفْنى، ولكنَّ الدُّنْيا لو أَحْسَنَّا فيها، وقَلَّدْنَا فيها حَيَاةَ أَهْلِ الجَنَّةِ، بالرَّحْمَةِ والصِّدْقِ والكَمَالِ قَدْرَ الاسْتِطَاعَةِ لكانَتْ جَنَّةً أَرْضِيَّةً، ليستْ كجَنَّةِ السَّماءِ، لكنَّها جَنَّةُ الأَرْضِ.

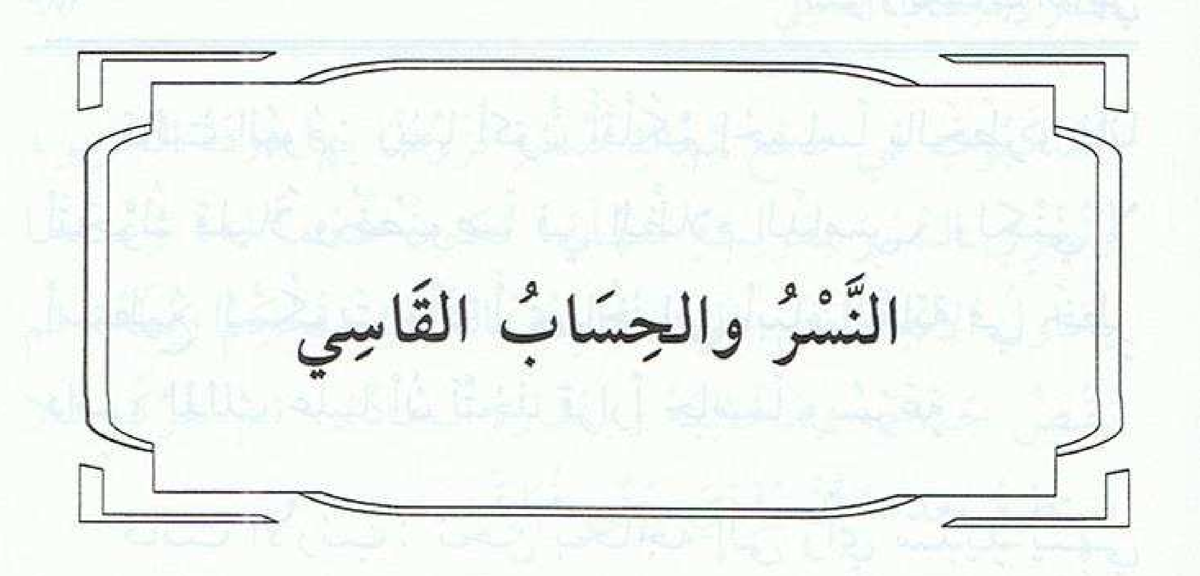
وتَوَقَّفَ والدي قليلاً ثم قال: ما أَمْتَعَهَا مِنْ أرضٍ تَسْكُبُ علينا الخَيْرَ دون تَذَلُّلٍ مِنَّا، تَمْنَحُنا الجَمالَ والثِّمارَ والشَّذَا، فالأَرْضُ يا بُنَيَّ أَرْحَمُ المَخْلُوقاتِ بالإنسانِ، ألا تَرَى المَاءَ يخرجُ منها عَذْباً سائغاً للشَّارِبِين وأَنَّها تُعْطينا الثّمارَ والأشْجارَ وتعطي الحَيَوانَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ؟

إنَّها تُخْرِجُ الحَيَاةَ بأمرِ رَبِّها، أفلا نكونُ مُخْلِصِينَ لها؟

إنَّ أَعْمَقَ عَلاقَةٍ تُنْسَجُ في الحَياةِ هي علاقةُ الإنسان مَعَ الأَرْضِ فمِنْها يأتي، وإليها يَعُودُ، فقد خَلَقَهُ الله من تُرابٍ، وسوف يَحْضُنُهُ التُّرَابُ عندما تَنْقَضِي حياتُه الدُّنْيا.

اسْتَوْقَفَني حَدِيثُ والدي كثيراً، فَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ وأُذُنَيَّ، فقال: ما بكَ يا زاهرُ، هَيَّا سَاعِدْني، لقد أَصْبَحْتَ شَابّاً، اسْقِ الزَّرْعَ والزُّهُورَ، وعندما ترى الثّمارَ دَانِيَةً سَتَرَى فَرَحاً لا يُعَادِلُهُ فَرَحٌ، وستَفْهَمُ سِرَّ حُبّي لهذه الأَرْضِ.

ثم شَكَرَ أبي اللّهَ وقال: إنّها نِعْمَةٌ والشُّكْرُ يُدِيمُ النِّعْمَةَ ويَزِيدُهَا.



النَّسْرُ والحِسَابُ القَاسِي

في غَابَةٍ بَعِيدَةٍ، عَاشَ نَسْرٌ يَفْتُكُ بالحيوانات الضَّعيفةِ بلا رَأْفَةٍ أو رَحْمَةٍ، ولمَّا لَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْدَعُه شَعَرَ بأنّه سَيِّدُ الفَضاءِ بلا مُنَازِعٍ، فما مِنْ طَيْرٍ في السَّمَاءِ يَجْرُؤُ على مُنَازَلَتِهِ، وما مِنْ حيوانٍ يَمْشي على الأرضِ يستطيعُ الفِرَارَ مِنْ مَخَالِبِهِ الفَتَّاكَةِ.

ظَلَّ النَّسْرُ على هذا المِنْوَالِ رَدْحاً مِنَ الزَّمَنِ، واسْتَطَابَ هذه الحَيَاةَ، وراحَ يُرْعِبُ صِغَارَ الحَيَوانِ، حتَّى وإنْ لَمْ يَكُنْ جَائعاً، بل كانت هِوَايَتُهُ المُحَبَّبَةُ تَرْوِيعَ الأرانب والغِزْلانِ والطُّيُور، ورُبَّما يُدْمِيهَا ثم يَنْظُرُ إليها ويُرَاقِبُها وهِيَ تَمُوتُ شيئاً فشيئاً، مُتَلَذِّذاً بهذا المَنْظَرِ ثم يَتْرُكُها ويَمْضي ضاحكاً. اجْتَمَعَتْ حيواناتُ الغَابَةِ في إحدى المَغَارَاتِ بِمَنْأَى عَنْ عُيُونِ النّسرِ الحَادَّةِ، وراحَتْ تَتَدَارَسُ وتَتَبَاحَثُ في أَمْرِ هذه الكَارِثَةِ.

قالت البُومُ: ربما أكونُ أَقَلَّكُمْ إحْساساً بالخَطَر، فأنا أتَحَرَّكُ قليلاً وخُصُوصاً في الظَّلام الدَّامِسِ، ولكنِّي لا أستطيعُ السُّكُوتَ وأنا أَرَى إخْواني أبناءَ الغَابَةِ في خَطَرٍ دائِمٍ، لذلك علينا أنْ نَتَّخِذَ قراراً حاسماً وبسُرْعَةٍ.

قالت الأرنبُ: نحن بحاجة إلى رَأْيٍ سَدِيدٍ يُنْهِي مُشْكِلَتَنا، يجبُ أنْ نَتَخَلَّصَ مِنَ النَّسْرِ.

قال الحِمَارُ الوَحْشِيُّ: ومَنْ يستطيعُ مُوَاجَهَةَ النَّسْرِ؟ إنّه أَقْوَى مِنَّا جميعاً.

خَفَضَتِ الأرنبُ رَأْسَها ثم قَالَتْ: ما رَأْيُكُم لو أَرْسَلْنا أَحَدَنَا إلى الغَابة المُجَاوِرَةِ وشَكَوْنَا النَّسْرَ إلى كَبِيرِ النُّسُورِ فهو طَيْرٌ عادلٌ لا يَقْبَلُ الظُّلْمَ.

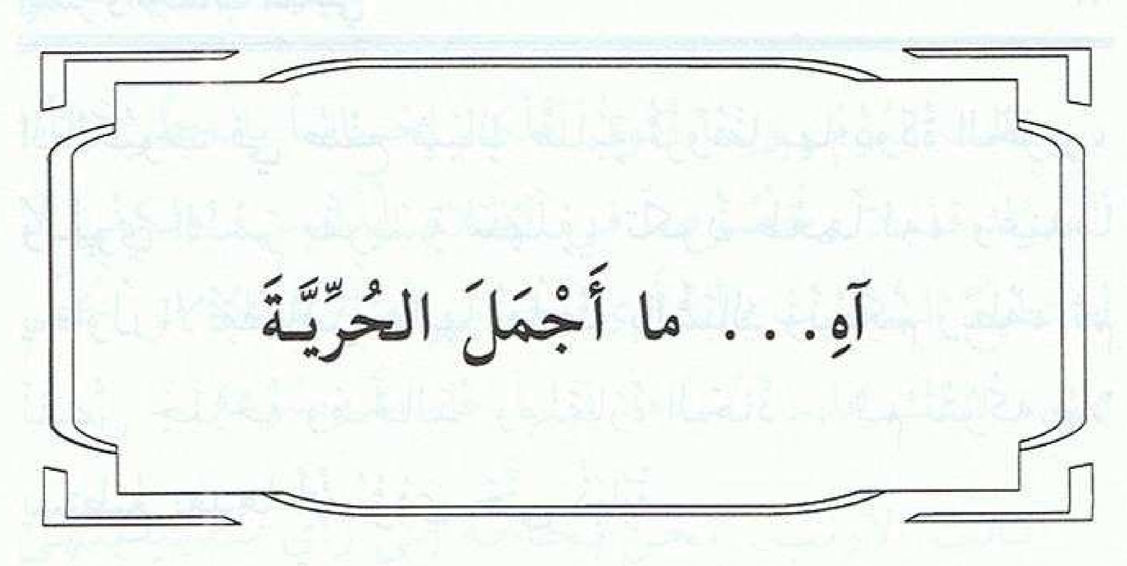
أَثْنَى بَعْضُ الحيواناتِ على هذا الرَّأْيِ، ولكنَّ الجَمِيعَ كان مُتَّفِقاً على ضَرُورَةِ الاعْتِمادِ على النَّفْسِ، حتى لا يَتَجَرَّأَ أَحَدٌ غَيْرُهُ بعد التَّخَلُّصِ منه.

وتَدَاوَلَتِ الحيواناتُ الآرَاءَ.. لكنَّها لم تَتَّفِقْ. وبعد مُدَّةٍ طويلةٍ، قالت الزَّرافَةُ:

الرَّأْيُ عِنْدي.. ماذا لو اسْتَفَدْنَا مِنْ خِبْرَةِ صَدِيقِنا

العَنْكَبُوتِ في صُنْعِ شِبَاكٍ صُلْبَةٍ تُزَوِّدُنا بها دُودَةُ الحَرِير، ونُغْرِي النَّسْرَ بفَرِيسَةٍ سَهْلَةٍ، تكونُ طُعْماً له، وعندما يحاولُ الانْقِضَاضَ عليها نُفاجِئُه بالشِّبَاكِ ونُحْكِمُ رَبْطَهُ، ثم نَقُصُّ جَنَاحَهُ ومَخَالِبَهُ ومِنْقَارَهُ الحَادَّ.. ثم نَتْرُكُه فلا يستطيعُ بعدها أنْ يُؤْذِيَ حَتَّى ذُبَابَةً.

وَافَقَ الجميعُ على هذا الاقتراح، ورَاحُوا يَعْمَلُون بجِدٍّ ونَشَاطٍ، لتَنْفِيذِ الخُطَّةِ، وبعد أيّام قليلةٍ أصْبَحَ الشَّرَكُ ـ الفَخُّ جاهزاً، واخْتَاروا المكانَ والسَّاعَةَ، وأَغْرَوُا النَّسْرَ بفريسةٍ سَهْلةٍ، وانْقَضَّ النّسرُ دون أن يعلمَ ما يُحَضَّرُ له، ودون أن يعرفَ ما جَرَى، وَجَدَ نَفْسَهُ في الشِّبَاكِ، فأَسْرَعَتِ الحيواناتُ وقَامَتْ بقَصِّ جُزْءٍ مِنْ جَنَاحِهِ وقَطَعَتْ مَخَالِبَهُ وقليلاً مِنْ مِنْقَارِهِ، وهو يَصِيحُ. وبعد ذلك خَرَجَ مِنَ الشِّبَاكِ، فَشَعَرَ بالذُّلِّ والضَّعْفِ، وراحَ يَمْشي ويحاولُ القَفْزَ.. ثم غَابَ عَنِ الأَعْيُنِ.. وغَادَرَ الغَابَةَ. ومنذ ذلك الحِينِ لم يَجْرُؤْ أَحَدٌ على إيذَاءِ الحيواناتِ التي عاشَتْ في أمانٍ وسَلامٍ.



آهِ.. ما أَجْمَلَ الحُرِّيَّة

الفَرَاشَاتُ المُلَوَّنَةُ تَنْتَقِلُ مِنْ وَرْدَةٍ إلى وَرْدَةٍ.

والشَّمْسُ تُغَازِلُ حَبَّاتِ النَّدى المُتَلأْلِئَةَ.

والهَوَاءُ المُنْعِشُ يَحْفَلُ بالنَّسَائِمِ العَطِرَةِ.

خَرَجَتْ فُلَّةُ، الفَتَاةُ الجميلةُ الطَّيِّبَةُ إلى بُسْتَانِ وَالِدِها تَتَنَشَّقُ رائحةَ الأرضِ.. وأَرِيجَ الأزْهارِ.. وتَرْمُقُ جَمَالَ الطَّبيعةِ الأَخَّاذِ بِحُنُوٍّ ورِقَّةٍ وأَمَلٍ.

رَقَصَتْ فُلَّةُ مَعَ الأغْصانِ وغَنَّتْ مَعَ الطُّيُورِ.

فجأَةً.. سَمِعَتْ صَوْتاً رقيقاً.. لم تَسْمَعْهُ مِنْ قَبْلُ.

صَوْتَ عُصْفُورٍ ليس كالعَصَافير فسَكَتَتْ كُلُّ الطُّيورِ عَنِ الغِنَاءِ.. وبَقِيَ وَحْدَهُ.

رَاحَتِ الفَتَاةُ الطيبةُ تبحثُ عن مَصْدَرِ هذا الصَّوْتِ العَذْبِ الرَّائع.. ورفعتْ رَأْسَها، ونَقَّلَتْ عَيْنَيْهَا بين الغُصُونِ.

ما أَجْمَلَ هذا العُصْفُورَ وما أَرَقَّ صَوْتَهُ وأَعْذَبَ أَلْحَانَهُ!!

ها هو يُطِلُّ عليها من فوق إحْدَى الأشْجارِ المُثْمِرَةِ.

فاقْتَرَبَ إلى غُصْنٍ فَوْقَها..

اسْتَلْقَتْ فُلَّةُ على العُشْبِ الأخْضَرِ.

أَلْقَتْ برَأْسِهَا على كَوْمَةٍ مِنَ الزُّهُور العِطْرِيَّةِ، وغَرِقَتْ في تَأَمُّلِ صَوْتِ هذا الطَّائِرِ البَدِيع، ونَسِيَتْ نَفْسَها وهي تُصْغِي إلى أَلْحَانِهِ العَذْبَةِ.

مَضَى وَقْتٌ ليس بقَصِيرٍ، وطالَ غِيَابُ الفَتاةِ.

قَلِقَتِ الأمُّ، فُلَّةُ، أينَ أنْتِ، أُدْخُلي إلى المَنْزِلِ.

تَنَبَّهَتِ الفَتَاةُ، الوَقْتُ يَمُرُّ بسُرْعَةٍ، آهِ كم هي قَصِيرَةٌ اللَّحَظَاتُ الجميلةُ تمرُّ مَرَّ السَّحابِ.

الطّائرُ لم يَتَوَقَّفْ عن الغِنَاءِ، ما أَجْمَلَ صَوْتَكَ أيها الطّائرُ البَدِيعُ!!.

ماما.. ماما.

تَعالَيْ بسُرْعَةٍ.. في حديقتنا زَائِرٌ غريبٌ، تَعالَيْ وتَعرَّفي عليه.

خَرَجَتِ الأمُّ مُسْرِعَةً.

ما قِصَّةُ هذا الزّائِرِ؟ كما أَنّها لَيْسَ من عَادَتِها ألاّ تُلَبّي نِداءَ ابْنَتِها المُطِيعَةِ، وكانت تَرُدُّ طاعَتَها برأفةٍ بها ورَحْمة.

(وكُلُّ أُمٍّ رَؤُوفٌ بأبْنائها وبَنَاتِها).

ماما، هل شَاهَدْتِ مِثْلَ هذا العُصْفُورِ؟

دُهِشَت الأُمُّ مِنْ مَنْظَرِه الرّائِعِ.

أَطْلَقَ الطائرُ صَوْتَه مُعْجَباً بنَفْسِه، وازداد تَأَلُّقاً وعُذُوبَةً ورِقَّةً.

يا أَللّه.. ما أَحْلَى هذا الصَّوْتَ.

صَوْتُ الأمِّ عانقَ صَوْتَ ابنتها.

ومَضَى الوَقْتُ واقتربَ مَوْعِدُ الغَدَاء وعَوْدَةِ الأبِ من عَمَلِه.

هيَّا يا فُلّة إلى المَنْزل، لنُحْضِر طَعَامَ الغَدَاء.

لا يا أُمّي لِنَبْقَ قليلاً.

بعد زَمَنٍ قصيرٍ، لَمَعَتْ في رأْسِ فُلَّةَ فِكْرَةٌ، لماذا لا نَدْعُو الطائرَ العزيزَ إلى منزلنا؟

هيَّا بنا يا طائري الحَبيبُ لنَدْخُل المَنْزِلَ، حَتَّى أُرِيكَ غُرْفتي، وأُعَرِّفَكَ على أَلْعابي.

فَرِحَ الطائرُ بهذه الدَّعْوةِ.

فَتَحت الأمُّ بابَ المنزلِ، ودَخَلَ الطائرُ بسَعادَةٍ.

ورَاحَ يُغَرِّدُ أَجْمَلَ الألْحانِ.

قالت فُلَّةُ: هيَّا يا طائري، ما رَأْيُكَ لو تَدْخُلُ هذا القَفَصَ الجَمِيلَ، فإنه أُعِدَّ خِصِّيصاً للطُّيورِ الرَّائعة.

صَمَتَ الطائرُ فجأةً، ونَظَرَ إلى القَفَصِ، فأَصَابَتْهُ نَوْبَةٌ مِنَ الجُنُونِ.

رَاحَ يطيرُ بسُرْعَة، ويَخْبِطُ جُدْرَانَ المَنْزِلِ مُحَاوِلاً الهَرَبَ، لكنَّ الأبْوَابَ والنوافذَ مُغْلَقَةٌ.

ضَحِكَتِ الأمُّ، وطَيَّبَتْ خَاطِرَ العُصْفُورِ النَّبِيهِ، لا، لا لن نَسْجُنَكَ أيُّها الطائرُ الحُرُّ، ولَنْ نَحْرِمَكَ من حُرِّيَّتِكَ.

ثم تَوَجَّهَتْ لابْنَتِها، إنَّه طَائِرٌ غريبٌ، ليس من مِنْطَقَتِنَا، ولا بُدَّ أَنَّهُ من الطُّيُور الرَّحَّالَةِ، يَعْشَقُ الحُرِّيَّةَ ويَهْوَى السَّفَرَ.

ابْتَسَمَت البنتُ الصغيرةُ، وفهمتْ ما قالته أُمُّها.

آه، ما أَجْمَلَ الحُرِّيَّةَ!!

وفَتَحتِ النّافذةَ.

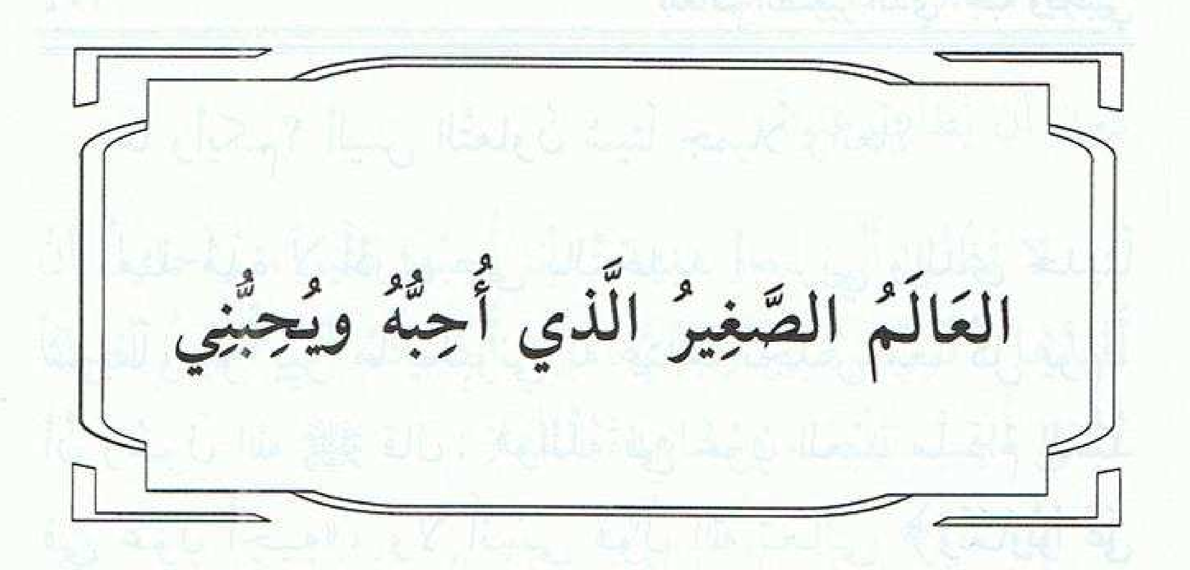
فَرحَ الطائرُ البَدِيعُ، ووَقَفَ على حَافَّةِ النافذةِ، وراح يَصْدَحُ بأَنْغامِهِ العَذْبَةِ، ثم انْطَلَقَ إلى الفَضاء الرَّحْبِ حَيْثُ الحُرِّيَّةُ.

لم تَكُنِ الفتاةُ سَعِيدةً تلك اللَّيْلَةَ، ونَامَتْ وهي حَزِينَةٌ جِدّاً.

في الصَّباح البَاكرِ، خَرَجَتْ كعادتها إلى الحَديقةِ، وكانت المفاجأَةُ، الطائرُ البديعُ لا يزالُ في الحَديقةِ، وقد بَنَى عُشّاً له على غُصْنِ شَجَرَةٍ قريبةٍ.

ما أَجْمَلَكَ أَيُّها الطائرُ الغِرِّيدُ!!

آه. . ما أَجْمَلَ الحُرِّيَّةَ!!



العَالَمُ الصَّغِيرُ الَّذي أُحِبُّهُ ويُحِبُّنِي

مَرْحباً يا أَصْدِقَاءُ.

أَرْجُو أنْ تكونوا بخَيْرٍ، أُعَرِّفُكُمْ على نَفْسي:

أنا اسْمي فِرَاسٌ، وهذه أُمِّي ومعها أُخْتي سُعَادُ، وهما تُعِدَّانِ مَائِدَةَ الصَّباح.

وأنا أيضاً أُسَاعدُهما، فأُحْضِرُ الأَطْبَاقَ والمَاءَ، وأحياناً أَمْسَحُ الطَّاولَةَ وأُجَفِّفُ الأطْباقَ بعد غَسْلِهَا.

لا تَظُنُّوا أنِّي أفعلُ هذا مُجْبراً، أبداً، ولكنِّي أُحِبُّ أنْ أكونَ مُتَعَاوِناً، وأنا أعملُ معهما ما أراهُ واجباً وليس تَفَضُّلاً، فعندما أُحَضِّرُ معهما المَائِدَةَ، أو أُرَتِّبُ فِرَاشي وأُنَظِّفُ أَرضِيَّةَ غُرْفتي فإنَّني أَخْدُمُ نَفْسي أوّلاً، وأُخَفِّفُ العِبْءَ عن أُمِّي وأُخْتي، وأَهَمُّ ما في المَوْضوعِ أنني أحبُّ التعاونَ.

ما رأيكم؟ أليس التَّعاونُ شيئاً جميلاً رائعاً؟

منذ مُدَّة لا أَدْري متى بالتَّحْديد أخبرني والدي حَديثاً شَريفاً، مِنْ بين ما يُخْبِرُني به عندما نَجْلِسُ معاً كُلَّ يَوْم، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «واللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما دَامَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ»، ولا أَنْسَى قَوْلَ الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

وكُلُّنا نعلمُ يا أصدقاءُ أنَّهُ لا يَكْفِي أنْ نَحْفَظَ الآياتِ والأَحَادِيثَ عن ظَهْرِ قَلْبٍ، ونُرَدِّدَها من حِينٍ إلى آخَرَ، لكنْ يَجِبُ أنْ نعملَ بها وأنْ نُطَبِّقَها على حياتنا ومُعَاملاتنا اليوميَّة مَعَ النَّاسِ ومَعَ أَنْفُسِنا.

أُخْتي سُعَادُ أصْغَرُ منِّي بسنَتَيْنِ، ولكنَّها أَكْثَرُ منِّي تَعاوُناً وتَفانِياً، فهي تَخْدُمُ الجَمِيعَ، وأحياناً تُدْهِشُني بمَوَاقِفِها النَّبيلةِ، فهي تُرَتِّبُ سريري إذا نَسِيتُ، وتُعِدُّ لي حقيبتي المدرسيَّةِ، وتصنعُ لي السندويتشات، حتى دون أن أَطْلُبَ منها.

ولسُعَادَ رغبةٌ خاصَّةٌ كبيرة في إسْعادِ أبي، وأَبي يُحِبُّها كثيراً لأنها تَخْدُمه بشَكْلٍ لا يُصدَّقُ، فما أنْ يُحرِّكَ شَفَتَيْهِ بِطَلَبِ ما حتَّى تُحْضِرَ له ما يريدُ، وأحياناً تعرفُ ما يريدُ

دون أن يَطْلُبَ شيئاً.

لا تَظُنُّوا أَنِّي أَغارُ منها، فأنا أُحِبُّها كثيراً، وأحاولُ أنْ أُقَلِّدَها لأفوزَ برِضَى وَالِدَيَّ، ولا أُخْفِيكُمْ أنّي أُهْمِلُ أحياناً لأنني أُحِبُّ اللَّعِبَ ومشاهدةَ التِّلْفَاز.

أُمِّي تقولُ لي إنَّها لا تحتاجُ إلى مُسَاعدتي في كُلِّ الأوقات، وإنَّها عندما تُريدُ منّي شيئاً سَتَطْلُبُهُ، وتُرِيدُني أنْ أَلْعَبَ مع أصدقائي كما أريدُ.

وتُريدني أنْ أَقْرَأَ وأُطَالِعَ الكُتُبَ والمَجلَّاتِ، وتَخْتَارُ لي البَرَامِجَ التلفزيونيةَ المناسبةَ.

فما أَحْلَى هذه الأُمَّ الطَّيِّبَةَ!

أمَّا أبي فإنّه يأخُذُنا أيامَ العُطْلاتِ في رِحْلاتٍ بَرِّيَّةٍ أو بَحْرِيَّةٍ، حيث يَحْلُو لنا اللَّعِبُ، وأحياناً يَصْحَبُنا في رِحْلاتٍ جَمَاعِيَّةٍ حيثُ تكونُ مساحةُ اللَّعِبِ أَكْبَرَ مَعَ مجموعةٍ أُخْرَى من الأولاد اللُّطَفَاء، وقد تتركني أمّي أذهبُ وَحْدي للَّعِبِ معهم لأنها تَعْرِفُني جَيِّداً، وهي متأكدةٌ أَنَّني سأتَصرَّفُ بحِكْمَةٍ واحْتِرَام تماماً كما لو كانت معي تُرَاقِبُني.

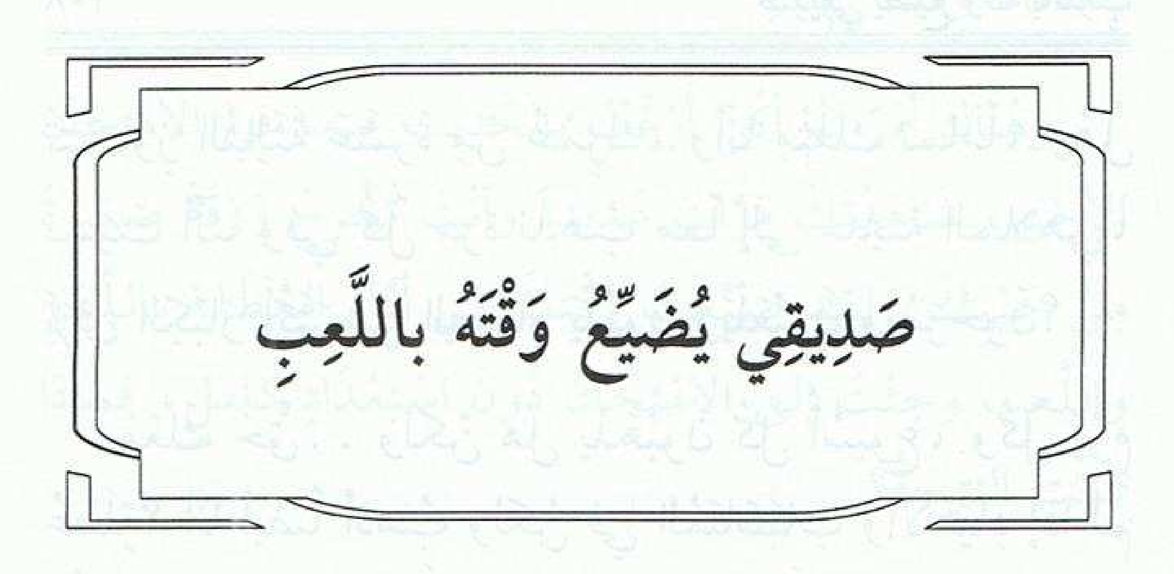
وأبي يا أَصْدِقَاءُ لا يَزْعَلُ أبداً لأننا نُحِبُ أُمَّنا كثيراً، بَلْ يُشَجِّعُنا وهو يقولُ لنا باستمرارٍ إنَّ الأُمَّ يَجِبُ أنْ تكونَ أَغْلَى من الأَبِ.

وقد أَخْبَرَنا أنَّ رَجُلاً جاء إلى رَسُولِ الله ﷺ وقال له: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ. أو كَمَا قالَ رَسولُ الله ﷺ.

ولذلك فأنا أُحَاوِلُ أن أُرْضِيَ أُمِّي، كما أُحَاوِلُ أنْ أُرْضِيَ أبي، عَمَلاً بقوله تعالَى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وهما يُعَامِلانَنِي كَصَدِيقٍ، وصَدِّقُوني، أنا لا أخافُ منهما البَتَّةَ، بل أُوَقِّرُهُما وأَحْتَرِمُهُما لأنهما عَلَّمَاني أنَّ الاحْتِرَامَ أَفْضَلُ مِنَ الخَوْفِ دون احْتِرَامٍ.

فأنا أحِبُّهما كثيراً، ولقد اعْتَدْتُ أنْ أكونَ صادقاً في القَوْلِ والفِكْرِ والعَمَلِ، وأنْ أَتَصَرَّفَ أَمَامَهُما تماماً كما أَتَصَرَّفُ وأنا بَعِيدٌ عنهما، وبذلك نشأتُ قادراً على تَحمُّلِ المسؤوليَّةِ.

ما رَأْيُكُمْ يا أصْدِقَاءُ، أليستْ أُسْرَتي عَظِيمَةً؟



صَدِيقِي يُضَيِّعُ وَقْتَهُ باللَّعِبِ

صَدِيقي نَبِيهٌ مُولَعٌ بمدينة المَلاهِي.

قَبْلَ سَنَواتٍ كُنْتُ مُولَعاً بها مِثْلَه، ولكنِّي أشعرُ أنِّي كَبِرْتُ ولم أَعُدْ صغيراً حتَّى أُضَيِّعَ وَقْتي.

صَحِيحٌ أَنَّني أذْهَبُ مع والـدي ووالِـدَتـي وإِخْوَتـي الصِّغَارِ في الأعْيَادِ، وأحياناً في نِهَايَةِ الأُسْبُوعِ إلى مدينة المَلَاهي، لكنَّنا لا نَعْتَبِرُهَا شيئاً أساسِيّاً في حياتنا.

قُلْتُ له:

لَسْتَ صغيراً إلى حَدِّ إصْرَارِكَ على الذَّهَابِ كُلَّ يَوْمِ عُطْلَةٍ للَّعِبِ في مَدِينَةِ الملاهي.

يَضْحَكُ نَبِيهٌ...

يا لَـكَ مِنْ أَفْلاطُون صَغِيرٍ، مِنْ أينَ أَتَـيْـتَ بـهـذه الحِكْمَةِ، هل تَظُنُّ أنَّك أصبحتَ كبيراً يا رامي؟ فأنتَ لم

تَتَجَاوَزِ الثَّالِثَةَ عَشَرَةَ مِنْ عُمْرِكَ، وأنا مِثْلُك تماماً، وهَلْ نَسِيتَ أنَّنا وفي كُلّ مرة نذهبُ معاً إلى مدينة الملاهي، نَرَى الكِبَارَ أَكْثَرَ مِنَ الصِّغَارِ يَلْهُونَ ويَلْعَبُونَ ويَمْرَحُونَ؟

مَعَكَ حَقٌّ.. ولكنْ هل يذهَبُون كُلَّ أُسْبوع، وكُلَّ يَوْمِ عُطْلَةٍ؟ أنا أيضاً أذهبُ ولكنْ في المُنَاسَبَاتِ والأعْيادِ إذا لم يَكُنْ عِنْدي ما هو أَهَمُّ من ذلك، بالأمْسِ، ذهبتُ إلى المَلاَهِي في عُطْلَةِ عِيدِ الأَضْحَى المُبَارَكِ، ورأيتُ ـ مثلك ـ الكِبَارَ يلعبُون كالصِّغَارِ، وهذا ليس بِعَيْبٍ، فالمَرَحُ والسَّعَادَةُ واللَّعِبُ أشْيَاء جَمِيلَةٌ كُلُّنَا نُحِبُّها، ولكنك تَنْسَى دائماً أنَّ الحياةَ ليستْ كُلُّها لَهْواً ولَعِباً، وأنْتَ تُفَضِّلُها كذلك.

يَضْحَكُ نَبيهٌ، رُوَيْدَكَ يا صَدِيقي، ألَمْ أَقُلْ إنَّكَ أَفْلاطُونٌ صَغِيرٌ؟ إنْ كُنْتَ تَقْصِدُ أنني أُضَيِّعُ وَقْتَ الدِّراسةِ فأنتَ مُخْطِئٌ، فأنا تلميذٌ مجتهدٌ، ومُتَفَوِّقٌ في دُرُوسي، وأُطِيعُ وَالِدَيَّ وأُؤَدِّي واجباتِ دِينِي، ماذا تُرِيدُ بَعْدُ؟

ـ اسْمَعْ يا نَبيهُ، أَنْتَ صَدِيقِي وجَارِي مُنْذُ الصِّغَرِ، والفَرْقُ بيننا أنك دائماً تُفَكِّرُ بالحاضر فَقَط، وتَنْسَى المُسْتَقْبَلَ، ولا يَهُمُّكَ غيرُ اللَّعِبِ، ولو كان ذلك على حِسَابِ مَصْلَحَتِكَ.

وهُناكَ أَمْرٌ لم أكُنْ أَرْغَبُ بالحَديث عنه، في الامتحانِ الأَخِير، شَاهَدْتُكَ مَرَّاتٍ عَديدَةً وأنْتَ تُخْرِجُ وَرَقَةً صغيرةً مِنْ جَيْبِكَ، لقد ضَيَّعْتَ وَقْتَكَ في أيَّام العُطْلة باللَّهْوِ واللَّعب وجِئْتَ إلى الامْتِحان دُونَ اسْتِعْدَادٍ كاملٍ، فماذا كانت النتيجةُ؟

ـ لقد نَجَحْتُ بتَفَوُّقٍ.

ـ بمُسَاعَدَةِ الوُرَيْقَاتِ الَّتي كانت مَعَكَ.

يَحْمَرُّ وَجْهُ نَبيهِ خَجَلاً.

ـ وماذا في ذلك؟ إنّه سؤالٌ واحدٌ لم أَكُنْ أعرفُ جَوَابَهُ.

ـ القَضِيَّةُ ليستْ قَضِيَّةَ سُؤالٍ، لقد كُنْتَ مُسْتَعِدّاً للغِشِّ، وقد رأيتُكَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ تفعلُ ذلك.

ما هذه الجريمةُ؟ «بسُخْرِيَةٍ» هَدِّئ رَوْعَكَ يا صديقي.

ـ أنا لا أقولُ لك ذلك لأُحَاسِبَكَ فأنْتَ تعرفُ أنَّ الغِشَّ مِنْ سِمَاتِ الفاشلين وَحْدَهُم، وأنتَ لَسْتَ منهم ولكنِّي أُحاولُ أنْ أُقْنِعَكَ بأنَّ اللَّعِبَ بالنِّسْبَةِ لنا ضَرُورِيٌّ، ولكنه ليس هو كُلّ شيءٍ، فهنالك ما هو أَهَمُّ منه.

ثم إنَّكَ تُضَيِّعُ أَشْيَاء كَثِيرَةً عليكَ، وتُوقِعُ نَفْسَكَ بالضَّرَرِ ولا تَحْضُرُ لِقَاءَاتِنَا المَدْرسية خارجَ الفَصْلِ، ولا تُشَارِكُ في نَشَاطَاتِنَا، ولا تَحْضُرُ إلى مكتبة المَدْرَسة إلا بأوقاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ وعند الضَّرُورة، ولا أَذْكُرُ أَنَّكَ اسْتَعَرْتَ كتاباً واحداً، كما أَنَّكَ لا تَمْلِكُ مكتبةً صغيرةً خاصَّةً بكَ، ولا تذهبُ إلى مَعْرَضِ الكِتَابِ، ولَسْتَ مُشْتَرِكاً بأيِّ مَجَلَّةٍ، كُلُّ هَمِّكَ مدينةُ الملاهي.

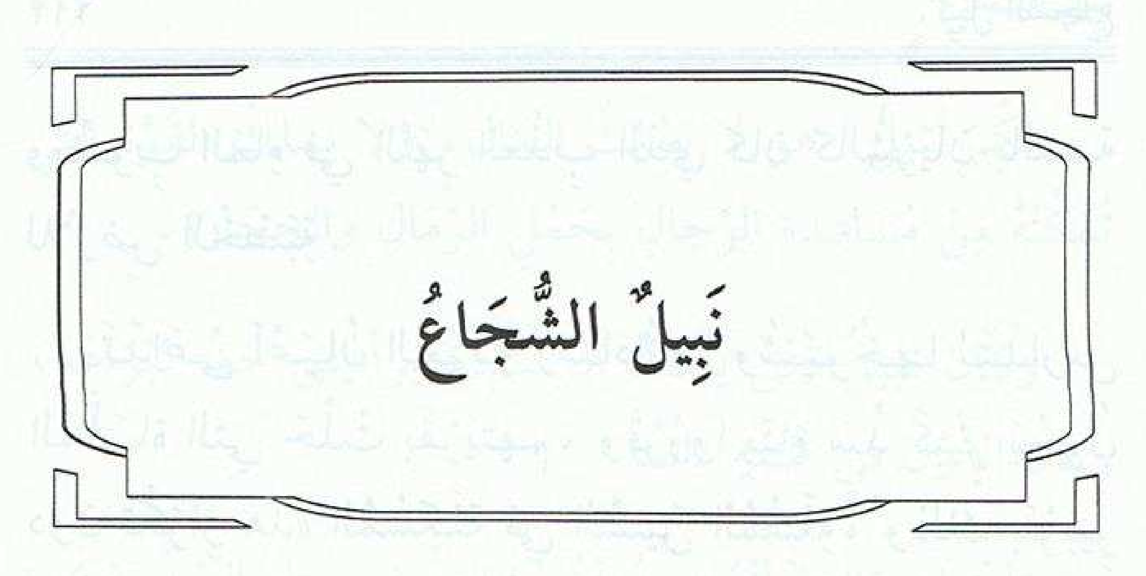
ـ أنا أَهْوَى القراءَةَ أيضاً، ولكنَّ الحياةَ طَوِيلَةٌ إنْ شاءَ اللّهُ، وسوف أقرأُ بالمُسْتَقْبَل.

ـ أنا لا أقولُ لكَ لا تَلْعَبْ، وضَعْ كُلَّ هَمِّكَ بالقِرَاءَةِ فَقَطْ؛ ولكنْ عَلَيْكَ أنْ تُنَظِّمَ وَقْتَكَ فهناكَ وَقْتٌ للّعِبِ، وآخَرُ للدَّرْسِ والمُذَاكَرَةِ، وآخَرُ للمُطَالَعَةِ، ووَقْتٌ لزِيَارَةِ الأقاربِ والأصدقاءِ. . وهكذا.

ـ إنّني بحاجةٍ إذنْ إلى ما يُسَمَّى «تَنْظِيمَ الوَقْتِ».

ـ نَعَمْ يا صَدِيقي، وأنا أيضاً كذلك، ما رَأْيُكَ لو نَتَعَاوَنُ معاً لتَنْظِيمِ وَقْتِنَا ونَضَعُ خُطَّةً مُنَاسِبَةً؟

(يفكّرُ نبيهٌ قليلاً)، هَيَّا بِنَا نُصَلِّي العِشَاءَ أوّلاً في المَسْجِدِ القَرِيبِ وبعد الصَّلاة نُنَاقِشُ معاً كيفيَّةَ تنظيمِ الوَقْتِ.



نَبِيلُ الشُّجَاعُ

كان نَبِيلٌ مِنْ فِتْيَانِ إحْدَى القُرَى السَّهْلِيَّةِ، ذَاتِ الأرضِ الخَصْبَةِ، وكان أهْلُها مِنَ النَّاس البُسَطَاءِ، يَعْتَمِدُون على الزِّرَاعة والرَّعْي، يُحِبُّونَ بَعْضَهُمْ بَعْضاً، وكان التَّوَاصُلُ والإِخَاءُ والتَّفَاني والتَّكَافُلُ بينهم لا يَنْقَطِعُ.

نَعِمَتْ قريةُ نبيلٍ بكثيرٍ من العطاءات الإلٰهيَّة، ولم يَكُنْ يُكَدِّرُ عَيْشَ تلك القَرْيَةِ شيءٌ، فالكُلُّ عَرَفَ وَاجِبَاتِهِ قبل أنْ يُطَالِبَ بحُقُوقِه، بل كان التَّنَازُلُ عن الحَقِّ في سَبيلِ المنفعةِ العامَّةِ، فغَدَتِ الحَيَاةُ في تلك القريةِ الوَادِعَةِ الجميلةِ مِثَالاً راقياً للأُخُوَّةِ والتَّعاونِ والإخْلاصِ.

نَشَأَ نبيلٌ في هذه الأجْواء الرائعةِ، وشَبَّ على الحُبِّ والإيثَار، وتَرَعْرَعَ على التَّمَسُّكِ بكل حَبَّةِ تُرَابٍ من قَرْيته الهَانِئَةِ.

وفي إحْدَى السِّنِين أَصَابَ الأَرْضَ جَفَافٌ لقِلَّةِ المَطَرِ،

ونُضوبِ المَاءِ في النَّهرِ العَذْبِ الذي كان كالشِّرْيَانِ بالنسبة للأرضِ الخَصْبَةِ.

تَدَاعَى أعْيَانُ القريةِ وساداتُها وشُيُوخُها لتَدَارسِ المَأْسَاة التي حَلَّتْ بقَرْيَتهم، وقَرَّرُوا بِنَاءَ سَدٍّ كَبيرٍ يَحُولُ دون تكْرَارِ هذه المُشكِلَة في السِّنينَ المُقْبلَةِ، وذلك بتَوْفيرِ مساحةٍ كبيرةٍ من الماءِ العَذْبِ، تكونُ بمَنْزِلَةِ بُحَيْرَةٍ صِنَاعِيَّةٍ تَرْوِي القَرْيَةَ وأرْضَها في أيّام الجَفَافِ. وبذلك يَتَوافَرُ الماءُ طِوالَ السَّنَةِ وبِكَمِّيَّاتٍ كبيرةٍ تَفِيضُ عن حَاجةِ البَلَدِ، فيُمْكِنُ اسْتِخْدَامُها لتَرْبِيَةِ الأسْمَاكِ وتكون مُنْتَزَهاً، وجَمَالاً يُضْفِي على القرية رَوْنَقاً وبَهَاءً.

وبعد أن أُعِدَّتِ الخَرَائطُ اللازمةُ، رَاحَ كُلُّ أبناءِ القرية يَتَبَرَّعُونَ بما يستطيعون، منهم مَنْ تبرَّعَ بالمَالِ، ومنهم مَنْ تبرَّعَ بالمُعَدَّات والآليَاتِ، ومنهم مَنْ تبرَّعَ بالجُهْدِ والعَمَلِ وهكذا، وَهَبَ الجميعُ لبناءِ هذا السَّدِّ الكَبِيرِ.

كان نَبِيل يراقبُ كُلَّ ما يَحْدُثُ عَنْ كَثَبٍ، ورَأَى أنَّ وَالِدَهُ قَدَّمَ كثيراً من المال، فقَدْ كان تاجراً ثَرِيّاً، فقال في نَفْسِهِ: صَحِيحٌ أنّني ما زِلْتُ صغيراً، ولم أَتَجاوز العاشِرَةَ مِنْ عُمْرِي، وما زلتُ أذهبُ إلى المدرسةِ، ولكنْ يَجِبُ أنْ أُقَدِّمَ شيئاً لهذا العَمَلِ الكَبِيرِ.

فَكَّرَ نبيلٌ، هو لا يَمْلِكُ المَالَ، ولا يملكُ القُوَّةَ الَّتي تُمَكِّنُهُ مِنْ مُساعدةِ الرِّجالِ بِحَمْلِ الرِّمَالِ والحِجَارَةِ.

وكان نبيلٌ فَتى يحبُّ الرَّسْمَ كثيراً إلى حَدِّ البَرَاعَةِ، وكان الأوَّلَ في صَفِّهِ دائماً.

فأَخْطَرَ وَالِدَهُ أَنَّهُ يريدُ أنْ يُسَاعِدَ في بناءِ السَّدِّ بفِكْرَةٍ جديدةٍ، ولذا عليه أنْ يَذْهَبَ كُلَّ يَوْمٍ بعد دَوَامِ المدرسةِ إلى حيث يَعْمَلُ العُمَّالُ.

فأَذِنَ له والدُهُ ولكنه طَلَبَ منه أن يستأذنَ أُمَّهُ أيضاً، وبعد أن حَصَلَ على إذْنِ وَالِدَيْهِ، رَاحَ يَضَعُ خُطَطَهُ وأراد أنْ يُنَفِّذَهَا ابتداءً مِنَ الغَدِ.

وفي اليَوْم التالي، وبعد المدرسة، ذَهَبَ الفَتى الصَّغيرُ راكضاً إلى المَكانِ الَّذي يُبْنَى فيه السَّدُّ، والْتَقَى مَعَ المُهَنْدِسِ المُشْرِفِ، وهو مِنْ أَحَدِ شَبَابِ القَرْيَةِ المُتَعَلِّمِينَ.

فقال له: إنَّنِي أُحِبُّ الرَّسْمَ كثيراً، وبإمْكَاني أنْ أَرْسُمَ على كل صَخْرةٍ من الصُّخُور المُسْتَخْدَمَةِ رَسْمَةً جَمِيلةً ليكونَ السَّدُّ لَوْحَةً رائعةً.

سُرَّ المهندسُ، وأَخْبرَ أعيانَ القَرْيَةِ بذلك فوافَقُوا على الفَوْرِ بشَرْطِ أنْ يرَوْا نَموذجاً، فإذا أَعْجَبَهُم وَافقُوا.

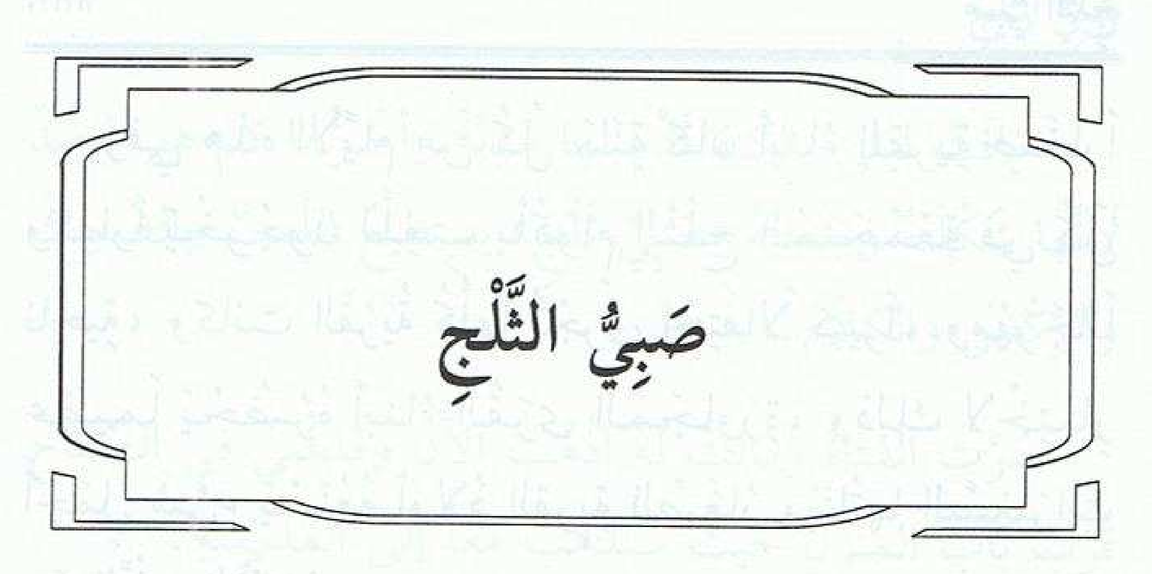
وبعد عَمَلٍ مُتَواصِلٍ أَنْهَى نبيلٌ النَّموذَجَ، فكان رَسْمَةً رائعةً، فقرَّرَ الجميعُ أن يبدأَ نبيلٌ عَمَلَهُ الفَنِّيَّ الجَميلَ.

وهكذا رَاحَ نبيلٌ يَعْمَلُ بكَدٍّ ونَشَاطٍ لأَسَابِيعَ عَدِيدَةٍ، وعندما انتهى العَمَلُ بالسَّدِّ، ظَهَرَ إبْداعُ نَبيلٍ وراحَ أَهْلُ القريةِ يأتُونَ لزيارةِ السَّدِّ وكأنه تُحْفَةٌ فَنِّيَّةٌ.

وفي يَوْمٍ خَرَجَ نَبيلٌ مَعَ أصدقائه ليَزُورُوا السَّدَّ ويَلْعَبُوا ويَمْرَحُوا.

وفجأةً وَقَعَ أَحَدُ الفِتْيَانِ بالماءِ وكادَ أنْ يَغْرَقَ ومن دون أيِّ تَأْخِيرٍ قَفَزَ نبيلٌ في المَاءِ، وكَانَ ماهراً بالسِّبَاحَةِ أيضاً، وبشَجَاعَةٍ كبيرةٍ قامَ بإنْقَاذِ صَدِيقِهِ مِنَ المَوْتِ وحَمَلَهُ إلى اليَابسَةِ وراحَ يُخرِجُ الماءَ مِنْ فَمِهِ ويُمَسِّدُ صَدْرَهُ وظَهْرَهُ.

عَلِمُ كُلُّ أبناءِ القَرْيَةِ بمَوْقِفِ نبيلِ الشُّجاع، فهو ليس فنَّاناً فقط، ولكنه أيضاً بَطَلٌ مِنَ الأبْطالِ الَّذين تَعْتَزُّ بهم القَرْيةُ وتَفْخَرُ، وقَرَّرُوا بالإجْمَاعِ أنْ يُطْلِقُوا على السَّدِّ اسْمَ «سَدِّ نَبيلِ الشُّجَاعِ».



صَبِيُّ الثَّلْجِ

لَيْلَى طِفْلَةٌ جميلةٌ ومُهَذَّبةٌ، تُطيعُ وَالِدَيْها، وتَفْعَلُ ما يَطْلُبَانِ منها ولا تُخالِفُهما بأَمْرٍ، فهي تعرفُ أنَّهما يُحِبَّانِها ولا يُريدَانِ لها إلاَّ الخَيْرَ والنَّجاحَ.

وهي أيضاً تلميذةٌ ذَكِيَّةٌ ومُجْتهدةٌ، المُعَلِّماتُ يَفْرَحْنَ جِدّاً عندما يُشَاهِدْنَها، لأنها تَحْفَظُ جَمِيعَ دُرُوسِها، ولا تُحْدِثُ ضَوْضَاءَ في صَفِّها، ولا تُشَاغِبُ في المَلْعَبِ، وهي إلى كل ذلك من التِّلميذات اللاَّتي يَتَصَدَّرْنَ لَوَائِحَ الشَّرَفِ باسْتمرارٍ.

كانت لَيْلَى تعيشُ في قريةٍ جَبَلِيَّةٍ هادئةٍ، يُحِيطُ بها الجَمالُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، ويَنْسَابُ في أرجائها نَسِيمُ الطبيعةِ السَّاحرةِ، ورَوْعَةِ المَنْظَرِ في الفُصُول الأَرْبَعَةِ.

في الشِّتَاءِ كان الثَّلْجُ يُكَلِّلُ قِمَمَ القرية العالية، ويَمْلأُ سَاحَاتِهَا باللَّوْنِ الأبيضِ السَّاحرِ، فتبدو قَرْيَتُها كَعَرُوسٍ في لَيْلَةِ زِفَافِها.

وفي هذه الأيَّام من كُلِّ سَنَةٍ كان أبناءُ القريةِ صِغَاراً وكباراً يَخْرُجُون للَّعِبِ بأكْوَامِ الثَّلْجِ المُتَجَمِّعَةِ في كُلّ ناحيةٍ، وكانت القَرْيَةُ كُلُّها تُجْرِي احْتِفَالاً كبيراً، ومِهْرَجَاناً عظيماً يَحْضُرُهُ أبناءُ القُرَى المُجَاوِرَةِ، وذلك لاخْتِيَارِ أَجْمَلِ شَيْءٍ يَصْنَعُهُ أولادُ القريةِ الصِّغَارُ وبَنَاتُها الصَّغِيرَاتُ مِنَ الثَّلْجِ الأبْيَضِ.

وكانت لَيْلَى تُشَارِكُ ولأَوَّلِ مَرَّةٍ في هذا الاحتفالِ، وعندما بدأ المُتَبَارُونَ بصُنْعِ أشْكَالٍ مختلفةٍ كانت لَيْلَى تُشَكِّلُ صَبِيّاً صغيراً لأنها كانت تُحِبُّ اللَّعِبَ كثيراً مع أصْدِقَائها وصديقاتها الصِّغَارِ.

وقَبْلَ قُدُومِ اللَّيْلِ بقليلٍ كان الجميعُ قد انْتَهَوْا من تَشْكِيلِ مَنْحُوتَاتِهِم الثَّلْجِيَّةِ. وبعد أن دَارَتْ لُجْنَةُ التَّحْكِيم على جميع المُتَبَارِينَ، أَعْلَنَتْ فوْزَ ليلى بالجائزة الأُولَى.

بَكَتْ ليلى مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ، وأخذتْ تَرْقُصُ وتُغَنِّي، وعندما عادتْ إلى بَيْتِهَا وأَوَتْ إلى فِرَاشِها الدَّافئِ كانت تَحْلُمُ والسَّعَادَةُ تَغْمُرُهَا.

فجأةً شَعَرَتْ لَيْلَى بيدٍ حَنُونَةٍ لطيفةٍ تُدَاعِبُ خُصُلاتِ شَعْرِها، فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا فرأتْ صَبِيَّ الثَّلْجِ أمامَها يَبْتَسِمُ بفَرَحٍ ومَحَبَّةٍ.

خَافَتْ ليلى ولكنه قَدَّمَ لها هَدِيَّةً وأخْبَرَها كم هو سَعِيدٌ لأنَّها شَكَّلَتْهُ وجَعَلَتْهُ «صَبِيَّ ثَلْجٍ» يستطيعُ اللَّعِبَ والضَّحِكَ والرَّكْضَ والكَلَامَ.

سُرَّتِ الفَتَاةُ وقالتْ له اذْهَبِ الآن وقَابِلْنِي في الصَّبَاحِ قُرْبَ بَابِ المنزلِ حيث سنذهبُ معاً إلى المدرسةِ.

تَفَاجَأَ أصدقاءُ لَيْلَى وصَدِيقَاتُها بهذا الزَّائِرِ الثَّلْجِيِّ، وفَرِحُوا كثيراً برُؤْيَتِهِ، وطَلَبُوا من ليلى أنْ تَسْمَحَ لهم باللَّعِبِ مَعَهُ، فقالت: بَعْدَ المدرسةِ نلعبُ معه جميعاً.

بعد انتهاءِ سَاعَاتِ الدِّرَاسَةِ خَرَجَ الأولادُ والبَنَاتُ ليَلْعَبُوا مَعَ صَبِيِّ الثَّلْجِ، وانْقَضَى الوَقْتُ وهم يلعبون، ولم يَشْعُروا أنَّ صَبِيَّ الثَّلْجِ بَدَأَ يَذُوبُ شيئاً فشيئاً حتَّى لم يَعُدْ بإمْكَانِهِ الرَّكْضُ واللَّعِبُ، فوَقَعَ أرضاً، وتَجَمْهَرَ الجميعُ حَوْلَهُ، وحاولوا إنْقَاذَهُ، ولكنَّ الطَّقْسَ كان دافئاً فذَابَ الصَّبِيُّ الثَّلْجيُّ. . ولم يَتَبَقَّ منه سِوَى ثِيَابِهِ الجَمِيلةِ التي أَلْبَسَتْهُ إيَّاها صديقتُه ليلى.

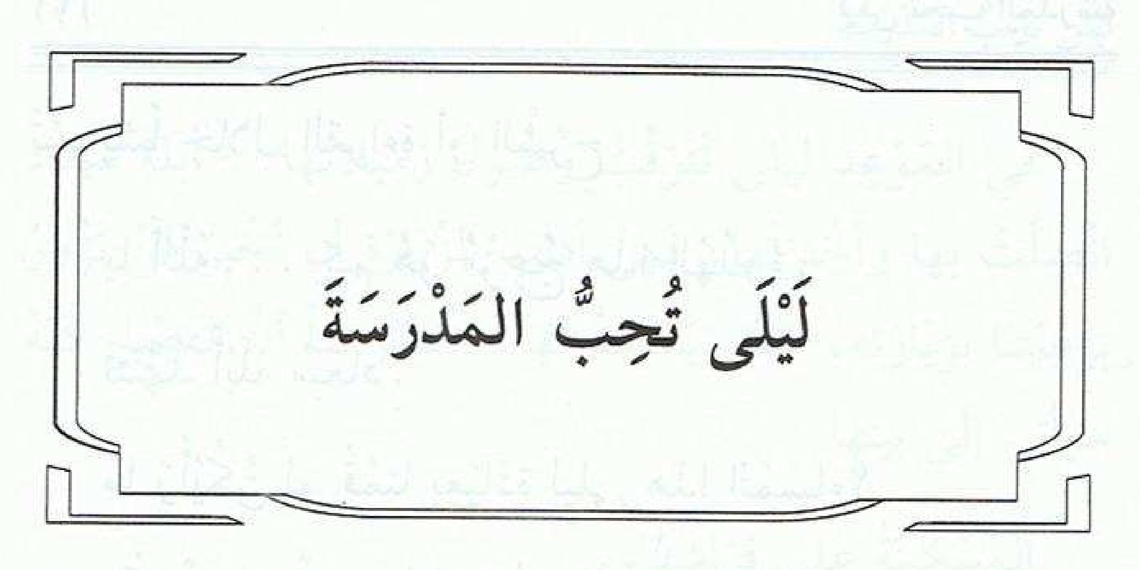
حَزِنَ الصِّغارُ كثيراً وعادوا إلى بيوتهم وهُمْ يَبْكُونَ، وعندما وَصَلَتْ لَيْلَى إلى بيتها حَاوَلَتْ أُمُّها أنْ تُخَفِّفَ مِنْ بُكائِها، ولكنَّها ظَلَّتْ تبكي طِوَالَ اللَّيْلِ.

وفي الصَّباحِ الباكِرِ، خَرَجَتْ ليلى وجَمَعَتْ كثيراً مِنَ الثَّلْجِ، وصَنَعَتْ من جَدِيدٍ صَبِيّاً يُشْبِهُ «صَبِيَّ الثَّلْجِ» وأَخَذَتْ تنظرُ إليه، تَرْجُو منه أن يُحادِثَها ويُكَلِّمَها، ولكنَّه ظَلَّ صامتاً جامداً، لا يَنْبُسُ بِبِنْتِ شَفَةٍ.

عَادَتْ إلى مَنْزِلِها وانتظرتْ صَبِيَّ الثَّلْجِ حتَّى يَأْتِيَ لِيُدَاعِبَ خُصلاتِ شَعْرِها، ولكنَّه لم يَأْتِ.

وَمَضتِ الأيّامُ ولَيْلَى تنتظرُ صَبِيَّ الثَّلْجِ، وفي شِتاءِ كُلِّ عَامٍ، وعندما يَهْطُلُ الثلجُ بغزارةٍ كانت لَيلى تَصْنَعُ صَبِيَّ ثَلْجٍ مُماثلاً، وتنتظرُ منه أنْ يَضْحكَ ويَلْعَبَ.. ولكنّه يَظَلُّ جامداً صامتاً لا يَفْتَحُ فَمَهُ.

وبَقِيَتْ لَيْلَى كُلَّ عَامٍ تَصْنَعُ صَبِيَّ ثَلْجٍ، ولكنَّ الصَّبِيَّ الثَّلْجِيَّ لا يَتَكَلَّمُ.



لَيْلَى تُحِبُّ المَدْرَسَةَ

لَيْلَى تِلْمِيذَةٌ مُجْتَهِدَةٌ على الدَّوَامِ، لكنها فتاةٌ مُشَاغِبَةٌ، تحبُّ المُشَاكَسَةَ والعَفْرَتَةَ.

ـ أين البنتُ «العِفْرِيتَةُ»؟

سَأَلَتْ أَبْلَة سُعاد عندما لاحَظَتِ الهُدُوءَ يُخَيِّمُ على الفَصْلِ.

عَرَفَ الجميعُ مَنْ هي «العفريتةُ».

أَبْلَة سعاد تُحِبُّ لَيْلَى، صَحِيحٌ أنَّها تكونُ مُزْعِجَةً أحياناً، لكنَّ إزْعَاجَها مِنَ النَّوْعِ المَهْضُومِ، وقَدِ اعْتَادَتْ على إزعاجها.

الهُدُوءُ يُسَيْطِرُ على الفَصْلِ.

لم يُعْجِبْ أَبْلَة سُعَاد هذا الهُدُوءُ المُمِلُّ، فهي تحبُّ أنْ يكونَ الفصلُ كُلُّه متفاعلاً بحَيَوِيَّةٍ ومَرَحٍ.. برغم الضِّيقِ الذي قد تُسَبِّبُهُ لها ليلى أحياناً عندما تُحْدِثُ

تَشْوِيشاً خِلالَ القراءة أو الشَّرْحِ.

يا أَللَّه... كم هُوَ مُزْعِجٌ هذا الهُدُوءُ.

تَتَنَهَّدُ أَبْلَة سُعَاد:

ما رَأْيُكُنَّ لو قُمْنا بعِيَادَةِ ليلى هذا المَسَاء؟

فِكْرَةٌ رائعةٌ.. الفتياتُ وَافَقْنَ بالإجْمَاعِ.. وبصَوْتٍ واحِدٍ:

هِيْهْ... هِيْهْ.... كُلُّنا نُحِبُّكِ يا لَيْلَى.

وأَكْمَلَتْ أبلة سُعَاد: إنّها زَمِيلَتُكُنَّ، وزيارةُ المَريضِ سُنَّةٌ طيِّبَةٌ عَلَّمَنَا إيَّاها رسولُنا الكريمُ عليه أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلامِ، فقد كَانَ يَعُودُ الكِبَارَ والصِّغَارَ في مَرَضِهِم، ويَدْعُو لهم بالشِّفَاءِ، وهو بزيارتهم يُوَاسِيهِمْ ويُخَفِّفُ عنهم مَشَاعِرَ الأَلَمِ، فالمَرِيضُ بحاجَةٍ إلى مَنْ يَقِفُ معه ويُشَجِّعُهُ.

هيَّا يا بناتي، اسْتَأْذِنَّ مِنْ بابا وماما، وسوف نَلْتَقي أمام بَيْتِ لَيْلَى بعد صلاة المَغْرِبِ مُباشَرَةً.

كانَ يوماً فريداً.. رُحْنَ جميعاً يُفَكِّرْنَ ماذا سَيُحْضِرْنَ معهنَّ مِنْ هدايا.. بَعْضُهُنَّ سيُحْضِرُ كتاباً، ومِنْهُنَّ مَنْ ستُحْضِرُ ألعاباً.. ووُرُوداً... وحُلْوَيَاتٍ.. صَحِيحٌ لَيْلَى تُحِبُّ الشُّوكُولا.

في المَوْعِدِ ليلى تَتَرَقَّبُ وُصُولَ زميلاتها. . أبلة سُعَاد اتَّصلَتْ بها وأَخْبَرَتْها، فَمِنْ آدابِ الزِّيَارَةِ أن نُخْبِرَ مَنْ نَزُورُ برَغْبَتِنا بزِيَارَتِه، حتَّى يَسْتَعِدَّ لها، خُصُوصاً أَنَّ الفَصلَ كُلَّهُ سيأتي إلى بيتها.

المِسْكِينَةُ على فِرَاشِهَا.

يا أَللَّهُ. كم نُحِبُّكِ يا لَيْلَى. . قَالَتِ الصَّغِيرَاتُ.

ـ ما أَحْلاكُنَّ يا صديقاتي. . يا لَيْتَني مَرِضْتُ مِنْ زَمَانٍ.

ـ لا تَقُولي هذا، نَبَّهَتْهَا أبلة سُعَاد. . لا تَدْعِي إلاَّ بالخَيْرِ، فَمَنْ مِنَّا يريدُ أَنْ يَمْرَضَ. . واشْكُرِي الله على نِعَمِهِ دائماً.

قَدَّمَت الصَّديقاتُ هداياهُنَّ الرَّمْزِيَّةَ، وهي بالحَقِيقَةِ غَنِيَّةٌ بهذه المَشَاعِرِ الطَّيِّبَةِ والجَمِيلَةِ.

خَجِلَتْ لَيْلَى مِنْ نَفْسِها بسَبَبِ الإزْعَاجِ المُسْتَمِرِّ الَّذي كانت تُسَبِّبُهُ بالفَصْلِ. . . واعْتَذَرَتْ مِنْ أبلة سُعَاد ومِنْ صَدِيقَاتِها.

وقالتْ: أنا أُحِبُّ المَدْرَسَةَ. . ولا أُحِبُّ أنْ أُزْعِجَ أحداً.

لا يا عزيزتي، فنَحْنُ نُحِبُّكِ ونَتَمنَّى لَكِ كُلَّ خَيْرٍ، ومُشَاغَبَاتُكِ ما دامت ضِمْنَ الحُدُودِ المُبَاحَةِ ولا تَخْرُجُ عن التَّهْذِيبِ لا بَأْسَ بها، فأَنْتِ لا تُزْعِجِينَ أحداً، ولا تُضَيِّعِينَ وَقْتَكِ ووَقْتَ زميلاتك، ودُعَابتك تكونُ غالباً مِمَّا يُثِيرُ الفَرَحَ ويُجَدِّدُ النَّشَاطَ.

ما أَطْيَبَ أبلة سُعَاد.

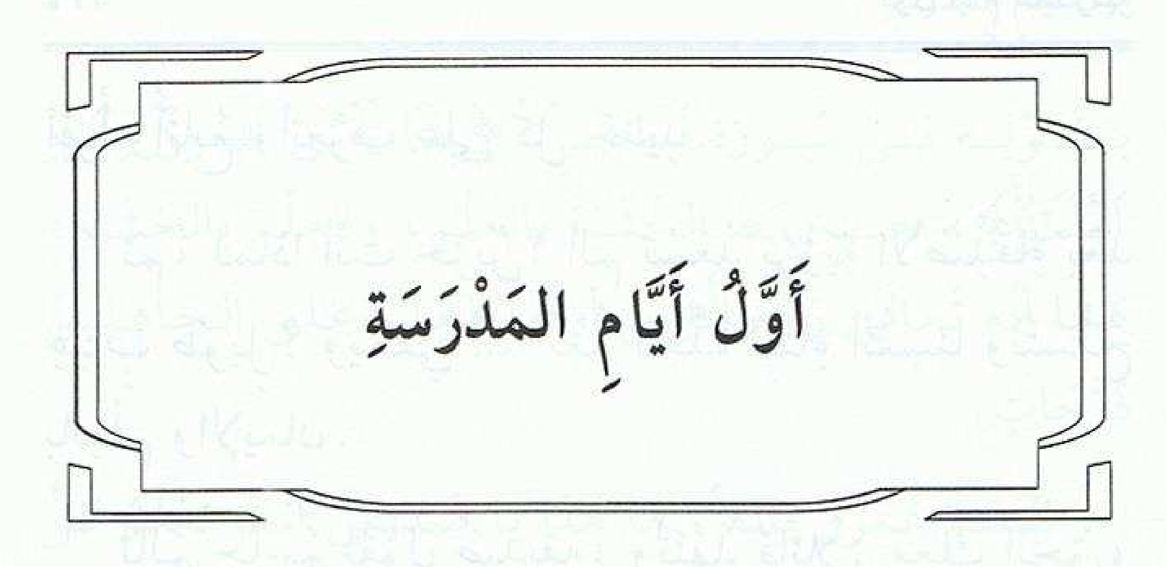
تَحلَّقْنَ حَوْلَها ورُحْنَ يُقَبِّلْنَهَا.

ماما تَقُولُ أبلة سعادُ تُحِبُّ عَمَلَها ولذلك نَحْنُ نُحِبُّها، وَافَقْنَ جميعاً على كَلامِ لَيْلَى.

جاءَتْ وَالِدَةُ لَيْلَى مُحَمَّلَةً بالعَصَائِرِ والحُلْوَيَات اللَّذِيذَةِ، ورُحْنَ يَتَبَادَلْنَ النُّكَاتِ والضَّحِكَاتِ ومَرَحْنَ بتهذيبٍ وأَدَبٍ.

شَعَرَتْ ليلى بتَحَسُّنٍ كبيرٍ في صِحَّتها.. ووَعَدَتْ أبلة سُعَاد وصَدِيقاتِهَا بأنها ستَأْتي بالتَّأْكِيدِ صَبَاحَ غَدٍ إلى المَدْرَسَةِ.

في اليَوْمِ التَّالي كانت فَرْحَةٌ كبيرةٌ.. جاءَتْ لَيْلَى مُحَمَّلَةً بالشُّوكولا ورَاحَتْ تُوَزِّعُها على مُدَرِّسَاتِهَا وزَمِيلاتِهَا.



أَوَّلُ أَيَّامِ المَدْرَسَةِ

الْتَقى عَمْرٌو وجَاسِمٌ في بَاحَةِ المدرسةِ في أوَّل يَوْمٍ بَعْدَ انْتِهاء العُطْلَةِ الصيفيةِ الطَّويلةِ.

وكان الحُزْنُ بَادِياً على وَجْهِ جَاسِم، فَقَدِ انْقَضتْ أَيَّامُ اللَّهْوِ واللَّعِبِ والمَرَحِ، وحَلَّ مَكَانَها التَّعَبُ والسَّهَرُ ومُلازمةُ مَقَاعِدِ الدراسةِ والكُتُبِ والأقلامِ والكُرَّاسَاتِ.

عَلِمَ عَمْرٌو بما في نَفْسِ جَاسِمٍ مِنْ أَسَى وحُزْنٍ.

فقال: أَرَاكَ مَهْمُوماً حزيناً، أَتَتَحسَّرُ على أَيَّام العُطْلة الرائعةِ؟

تَمْتَمَ جاسمٌ بكلماتٍ غَيْرِ مفهومةٍ.

قال عَمْرٌو: ما بَالُكَ يا أخي، أَتظُنُّ أَنَّ أَيَّامَ الخُمُولِ والكَسَلِ أَكْثَرُ فَرَحاً من أيَّام الجِدِّ والنَّشَاطِ وتَحْصِيل العِلْم؟ فأنا لم أَقْضِ كُلَّ أوقاتِ الصَّيْفِ باللَّهْوِ، بل كُنْتُ

أقرأُ وأُتَابعُ وأتعرَّفُ على كُلِّ جديدٍ.

ثم، لماذا أنتَ حزينٌ؟ ألم تَسْعَدْ برُؤْيَةِ الأصْدِقَاءِ بعد غِيَابٍ طويلٍ؟ ويكفي أنَّنا نُعِدُّ العِدَّةَ لبِنَاءِ أنْفُسِنا ونَتَسَلَّحُ بالعِلْمِ والإيمان.

تَأَلَّمَ جاسمٌ لقَوْلِ صَدِيقِهِ، وتَنَهَّدَ قائلاً: معكَ الحَقُّ، ولكنْ للرَّاحَةِ طَعْمٌ جميلٌ.

مَنْ مِنَّا لا يُحِبُّ الراحةَ، قال عمرو؛ ولكنْ لا يُمْكِنُ أنْ تُحَصِّلَ النَّجاحَ والرِّفْعَةَ وأنْتَ خَمُولٌ وكَسُولٌ، لا بُدَّ مِنَ الاسْتِعْدَادِ للمستقبلِ حتَّى لا يَسْبِقَكَ الآخَرُونَ.

والعِلْمُ هو أَوَّلُ درجاتِ الاستعدادِ والرُّقِيِّ، ألم نَتَعَلَّمْ أنَّ أوَّلَ آيةٍ نَزَلَتْ في القُرْآنِ الكريم أَمَرَتْ بالقِرَاءَةِ، والقِرَاءَةُ سَبِيلُ العِلْمِ الأَوَّلِ حيث قال الله تعالى في سورة العَلَقِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١﴾.

هنا قالَ جاسمٌ مُتَشَجِّعاً: لا شَكَّ أَنَّكَ تقولُ كلاماً حَقّاً، وقبل أيَّام سمعتُ خَطِيبَ المَسْجِد يقولُ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ جعلَ فِدَاءَ أَسْرَى الكُفَّارِ في غَزْوَةِ بَدْرٍ أن يُعَلِّمَ كُلُّ أسيرٍ لا يَمْلِكُ الفِدَاءَ عَشَرَةً مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِينَ القِرَاءَةَ والكِتَابَةَ، كما أنَّ الله تعالى رَفَعَ مِنْ شَأْنِ العِلْمِ والعُلَمَاء

بِقَوْلِهِ في سُورَة فاطِرٍ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، حيث رَبَطَ الخَشْيَةَ بالعِلْمِ، والعِلْمَ بالخَشْيَةِ، كما أنّه تعالَى رَفَعَ الّذينَ أُوتُوا العِلْمَ على الجاهِلِينَ دَرَجاتٍ.

ابْتَسَمَ عَمْرٌو قائلاً: ما هذا يا صَدِيقي أنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ ذلك وتشعرُ بالحُزْنِ لأنّك عُدْتَ إلى المَدْرَسَةِ!؟ كان الأَحْرَى بكَ أنْ تَحْزَنَ لذَهَابِ أَشْهُرٍ طويلةٍ مِنْ عُمْرِكَ من دون أنْ تَكْسِبَ عِلْماً ومَعْرِفَةً.

صَدَقْتَ يا صديقي، قال جاسمٌ، وأُريدُ أنْ أُخْبِرَكَ حديثاً رائعاً عن أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه «رواه الترمذي» أَنَّهُ سمِعَ رَسُولَنا الكَرِيمَ ﷺ يقولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فيه عِلْماً سَهَّلَ اللّهُ لَهُ طَرِيقَهُ إلى الجَنَّةِ، وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها رِضاءً لطَالِبِ العِلْمِ، وإنَّ فَضْلَ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ على سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإنَّ العُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإنَّ الأَنْبِيَاءَ لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا دِرْهَماً إنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ».

وفي هذه الأَثْناءِ قُرِعَ جَرَسُ الحِصَّةِ الأُولَى، فأسرَعَ جاسمٌ وعَمْرٌو إلى الفَصْلِ يُمَنِّيَانِ النَّفْسَ بسَنَةٍ جديدةٍ ومُستقبلٍ كبيرٍ.

آخِرُ يَوْمٍ في المَدْرَسَةِ

رُنَّ جَرَسُ البَابِ . .

دَخَلَتْ فُلَّةُ تُغَنِّي وتَرْقُصُ .

أَلْقَتْ حَقِيبَتَها المَدْرَسِيَّةَ على الكَنَبَةِ .

رأتْ أُمَّها . . حَضَنَتْها بفَرَحٍ شَديدٍ . . لم تَكْتُمِ الأُمُّ فَرْحَتَها . . لأنها تعرفُ السَّبَبَ .

ـ ماما . . انْتَهَت الدِّراسةُ . . انْتَهَى وَجَعُ الرَّأْسِ . . وانْتَهَى السِّجْنُ اليوميُّ . . بالدَّرْسِ والمُذاكَرَةِ . . مَرْحَى للَّعِبِ والضَّحِكِ والتَّسْلِيَةِ .

تَنَهَّدتْ أُمُّ فُلّة وقالت :

ـ يا فتاتي الجميلة! لقد كَبِرْتِ، هنيئاً لك نَجاحُكِ، وأَمامَكِ بِضْعَةُ أشْهُرٍ للرَّاحة والتَّنَزُّهِ والتَّرْفِيهِ، وسوف يَسْعَدُ أبوكِ عندما يَعودُ مِنَ العَمَلِ بعد قليلٍ، كما يَسْعَدُ دائماً عندما يَراكِ سعيدةً ومبسوطةً .

وَقَفَتْ فُلَّةُ وقالت بجِدِّيَّةٍ:

ـ العُطْلَةُ يا أمِّي فرصةٌ رائعةٌ للتسليةِ واللَّعِبِ وتَضْييعِ الوَقْتِ، لكنِّي، كما عَوَّدْتِنِي دائماً، لن أُمْضِيَ كُلَّ وَقْتي دُونَ فائدةٍ، فالوقتُ مهمٌّ جداً في حياة الإنسان، ويجبُ أنْ يَسْتَغِلَّهُ في كُلِّ ما هو مُفيدٌ له ولِدِينِهِ ولأُسْرَتِهِ ولمُسْتَقْبَلِهِ.

سُرَّتِ الأمُّ بكلامِ ابنتها:

ـ نَعَمْ يا حبيبتي، أنا أعلمُ أنَّكِ ابنةٌ مطيعةٌ، لكنِّي سأتْرُكُ لكِ حُرِّيَّةَ الاختيارِ، وحُرِّيَّةَ تنظيم وَقْتِكِ، لأنَّكِ أصبحتِ كبيرةً وشابَّةً، وسأُحْضِرُ لكِ ما شِئْتِ مِنَ الأشْيَاءِ المفيدةِ والمُسَلِّيَةِ، وسوف نذهبُ معاً لِشِرَاءِ الأفلامِ العِلْمِيَّةِ، وسأُسَاعِدُكِ في تَعَلُّم أعْمَالِ المنزلِ والأشغالِ اليدويَّةِ، وسأكونُ مُسْتَشَارَتَكِ الأَمِينَةَ.

ظَهَرَ السُّرُورُ الشَّديدُ على مَلامِحِ فُلَّةَ الفتاةِ الشَّابَّةِ، وراحتْ تضحكُ وتَدُورُ بالغُرْفَةِ وتَرْقُصُ مِنَ الفَرَحِ، ثُمَّ أَلْقَتْ بنَفْسها في حِضْنِ أُمِّها.

أمْسَكَت الأمُّ بابْنَتِها الذَّكِيَّةِ، ودَاعَبَتْ خُصُلاتِ شَعْرِهَا الأشْقَرِ، وحَضَنَتْها بحَنَانٍ شديدٍ، وقَالَتْ:

ـ الحَمْدُ لله الذي رَزَقَنِي فتاةً واعيةً تدركُ قِيمَةَ الوَقْتِ،

وتُبْغِضُ الكَسَلَ، والجُلُوسَ دون إفادَةٍ.

قالت الفتاةُ:

ـ عَفْواً يا أمِّي، ألستُ أنا طَالِبَةً في مَدْرَسَتِكِ، فأنت مُعَلِّمَتي الأُولَى، والوَقْتُ أَغْلَى من الذَّهَبِ، ومَنْ ضَيَّعَهُ أَضَاعَهُ، ومَنِ اغْتَنَمَهُ غَنِمَ.

ضَحِكَتِ الأمُّ...

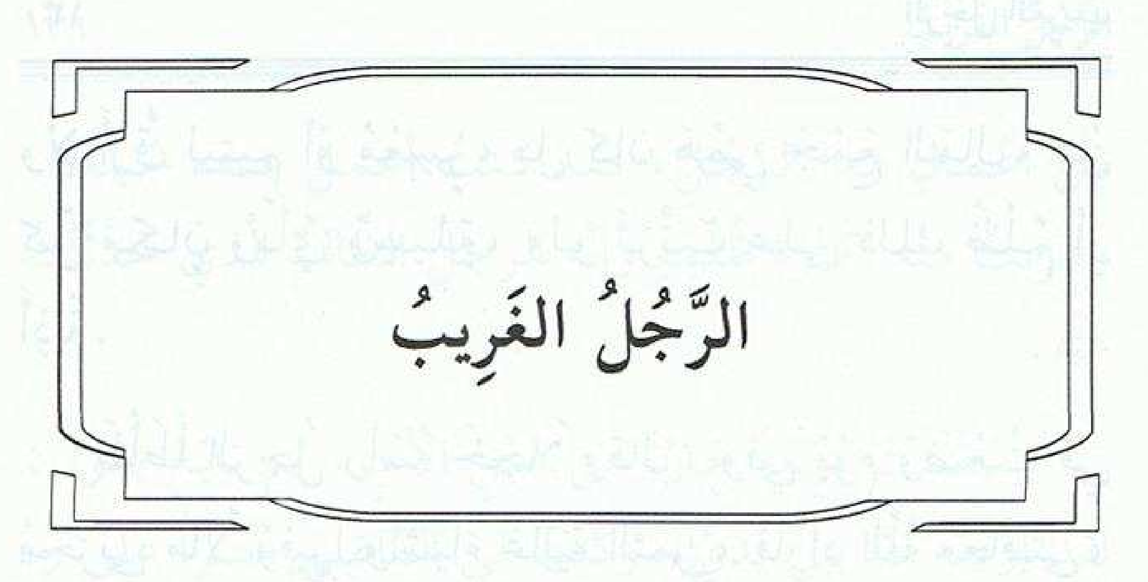
إنَّها كلماتٌ يُرَدِّدُها زوجُها دائماً..

ـ ما أحْلاكِ يا بُنَيَّتي، علينا الاسْتِفَادَةَ أنا وأنْتِ في هذه العُطْلَةِ، وسوف نَسْتَشِيرُ وَالِدَكِ أيضاً عندما يَأْتي، وسوف نُنَظِّمُ وَقْتَنَا للحُصُولِ على أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ الإفَادَةِ.

فهناك وَقْتٌ للَّعِبِ، ووَقْتٌ للمُطالعةِ، ووَقْتٌ للرَّاحَةِ، ووَقْتٌ لمُذَاكَرَةِ بَعْضِ الدُّروسِ حتى لا ننساها، ووَقْتٌ لزيارَةِ المَتاحِفِ والمَكْتَبَاتِ وحَدِيقَةِ الحَيَوَانِ، هناك أشياءُ كَثِيرةٌ جِدّاً يُمْكِنُ أنْ نَفْعَلَها.

قالت فُلَّةُ:

ـ هَيَّا يا أمِّي، لِنَبْدَإِ الخِطَّةَ مِنْ هذه اللَّحْظَةِ.



الرَّجُلُ الغَرِيبُ

فَتَحَ غَنِيٌّ بَابَ دَارِهِ لِيَلْقَى وَجْهَ رَجُلٍ غريبٍ، سألَهُ الرَّجُلُ معروفاً، وبَدَا ثَوْبُهُ رَثّاً ومَثْقُوباً.

رَقَّ قَلْبُ الغَنِيِّ، لكنه ارْتَابَ منه، فأدار ظَهْرَهُ وسأله عن مَطْلَبِهِ.

قال: إنّي فقيرٌ مُعْدَمٌ، ومنك يُرْجَى الكَرَمُ.

قال الغنيُّ: من أين أتَيْتَ؟ هل أنت فقيرٌ حَقّاً؟ لا يبدو عليك الفَقْرُ.

قال الفَقِيرُ: أتيتُ من بَلَدٍ بعيدٍ، ربّما لا تَعْرِفُه. بيننا وبينه مَسَافاتٌ، فَرَرْتُ مِنْ ظُلْمي لنفسي لكنَّ اللَّهَ عاقَبَني.. ونَدِمْتُ حَقَّ النَّدَامَةِ.. وهل بعد ما أنا فيه من مَلامَةٍ؟

وتَابَعَ يقولُ: كنتُ رَجُلاً غَنِيّاً.. ولا أَحْفَلُ بالفَقِيرِ،

ولا أَرِقُّ ليتيم أو مُعْسِرٍ، بل كان هَمِّي جَمْعَ المَال، مِنْ كلِّ مكانٍ وبأَيِّ وَسِيلةٍ، ولو تَرَتَّبَ على ذلك ظُلْمٌ أو أَذِيَّةٌ.

طَأْطَأَ الرجلُ رأسَهُ خَجَلاً وقال: وفي يَوْم وَضَعْتُ في مخزني مالاً وَفِيراً وأشياءَ غَالِيَةَ الثَّمَنِ، فأراد اللَّهُ مُعَاقَبتي، واحْتَرَقَ كُلُّ ما أَمْلِكُ ولم يَبْقَ إلاَّ الرَّمَادُ. . فبِعْتُ الأرضَ والذهبَ وكُلَّ ما أملك لأُسَدِّد بَعْضَ ديوني، لكنها لم تَفِ بنِصْفِ ما أنا مُطَالَبٌ به؛ فخَرَجْتُ هائماً على وَجْهي هارباً من ظُلْمي لنفْسي، أَدْعُو اللَّهَ أنْ يَغْفِرَ لي ويُسَامِحَني على إسَاءتي؛ لكنَّ أَحداً لم يُسَاعِدْني.

أَنْصَتَ الغَنِيُّ لكلِّ الكَلام. . وأمْسَكَ دمعةً كادت تَسْقُطُ مِنْ عَيْنَيْهِ، ثم قال: هذه أموالي فخُذْ منها ما تَشَاءُ.

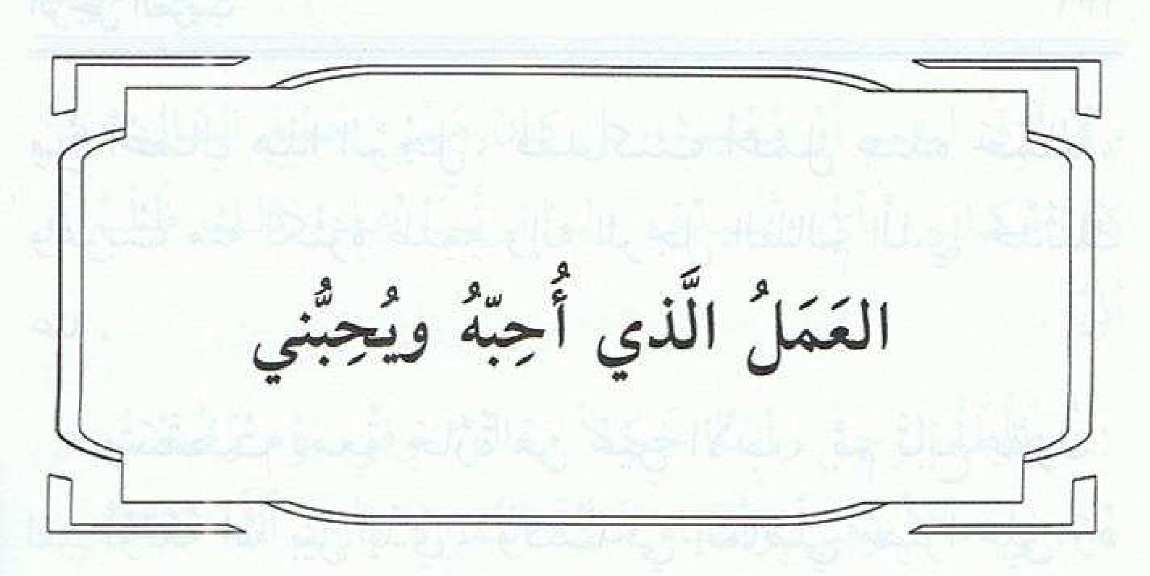
ظَنَّ الفقيرُ أنَّ الغنيَّ يستهزِئُ به وأخذ منه صُرَّةً كبيرةً، واعتقد أنها تَحْتَوِي على بَعْضِ الطَّعَام، وكانت مَلِيئَةً بالمالِ والذَّهَبِ، وقال له: هيَّا اذْهَبْ من هنا وأَعِدِ الأمْوالَ إلى أصْحَابها وابْدَأْ حياتَكَ مِنْ جديد.

اقترب ابنُ الغنيِّ وقد سَمِعَ الحِوَارَ، فقال الأبُ: لا تَسْتَغْرِبْ يا بُنَيَّ، أَتَذْكُرُ آثارَ السِّيَاطِ التي في ظَهْري؟ إنَّها

مِنْ أعْمالِ هذا الرَّجُلِ، فقد كنتُ أعملُ عنده حَمَّالاً، وهربتُ منه لكَثْرَةِ ظُلْمِهِ وإنَّه الرجلُ الظَّالمُ الَّذي حَدَّثْتُك عنه.

وسَقَطَتْ دمعةٌ حَارَّةٌ من عَيْنِ الأبِ، ثم تَابَعَ يقولُ: لقد أوْقَعَهُ الله بين يَدَيَّ، وكنتُ في المَاضِي مُصِرّاً على رَدِّ إساءَتِه، أما الآنَ وبعد أن رَأَيْتُهُ، عَفَوْتُ عن ظُلْمِه لي وأَعْطَيْتُهُ ما رَأَيْتَ ولم أُذَكِّرْهُ بنَفْسي.

ومَضَى الابنُ فَخُوراً بأَبِيه، لأنَّه كان يعرفُ مِقْدَارَ مُعَانَاةِ الأَبِ مع سَيِّدِهِ قديماً ولكنَّه أَبَى أن يَرُدَّ الإساءةَ بالإساءةِ والظُّلْمَ بالظُّلْمِ.. بل كان حَقّاً مِثَالَ العَفْوِ عند المَقْدِرَةِ.



العَمَلُ الَّذي أُحِبّهُ ويُحِبُّني

أخْبَرَتْني أُمِّي أنَّ العَمَلَ شيءٌ عظيمٌ، ولذلك لا أُضيِّعُ وَقْتي بما لا يَنْفَعُ، فأنا أُساعِدُها في أعْمالِ المَنْزِلِ بعد الانْتِهاءِ من واجباتي المَدْرَسِيَّةِ، وأَقُومُ بتَرْتِيبِ غُرْفَتي، ولا أَنْسى إِعْدادَ مَكْتَبَتي الحافِلَةَ بالقِصَصِ والكُتُبِ، لأنِّي دائماً أَحْرِصُ على القِراءة، لأنَّ المُطالَعَةَ تُنَمِّي المَعْلُوماتِ وتَزِيدُ في الثَّقافة.

ولٰكِنَّ أَكْثَرَ شيءٍ أُحِبُّهُ الزِّراعَةُ، وقد شَجَّعْتُ أُخْتِي الصَّغِيرةَ لتُساعِدَني في زِراعَةِ حَدِيقَةِ مَنْزِلِنا، كما نُعِدُّ الأرْضَ لوَضْعِ بُذُورِ النَّباتات، ولكيْ نَحْصَلَ على أَفْضَل نِتاجٍ كُنّا نَطَّلِعُ على الكُتُبِ الخاصَّةِ بالزِّراعة، ونسألُ مُدَرِّسَ العُلومِ ونَسْتَفِيدُ مِنَ النَّشاطِ الزِّراعِيِّ داخِلَ المَدْرَسَةِ.

وبعد مُدَّةٍ من الجُهْدِ المُسْتَمِرِّ امتلأتْ حَدِيقَةُ مَنْزِلِنا

بالنَّبَاتَاتِ المُتَنوِّعَةِ، وتَحقَّقَتْ أحْلامي وأحلامُ أُخْتي الصغيرة، وأصبحتْ عندنا حديقةٌ رائعةٌ، أليس ذلك حَقّاً ما نَتمَنّاهُ جميعاً؟

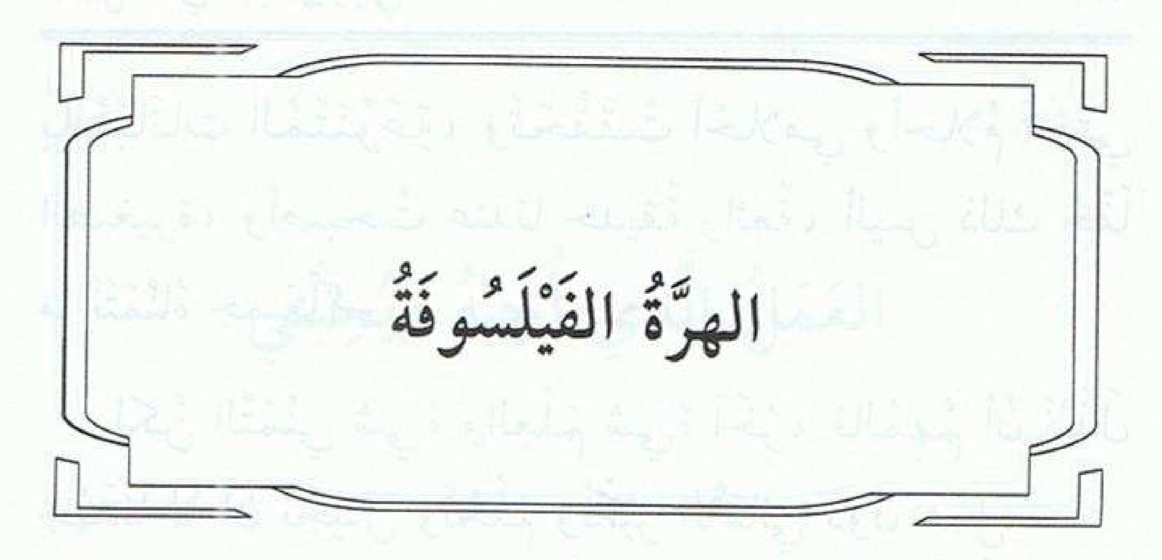
لكنَّ التَّمَنّي شيءٌ والعِلْمَ شيءٌ آخرُ، فالمُهِمُّ أنْ نَبْذُلَ جُهْدَنا لا أنْ نَجْلِسَ ونَحْلُمَ ونُكْثِرَ الأماني دون عَمَلٍ.

لقد تَعَلَّمْتُ مِنْ أبي وأمّي ومن المُدَرِّسِينَ قِيمَةَ العَمَل، وكذلك مِنَ العَامِلِ البَسِيطِ الّذي أَرَاهُ يُنَظِّفُ شَارِعَ مَنْزِلِنَا صَبَاحَ كُلِّ يَوْم مهما كانت الحَرَارَةُ مُرْتَفِعَةً أو البُرُودَةُ شَدِيدَةً، حتى إنّي تعلَّمْتُ من النَّمْلة الصَّغيرةِ التي تَحْرِصُ على العَمَلِ فَتْرَةً طويلةً لتأْمينِ قُوتِهَا.

لقد آمنتُ بأهَمِّيَّةِ العَمَلِ، فلولاه لما أصْبحَتِ الحَدِيقةُ كما هي الآن، ولما شعرتُ بالفَخْرِ الّذي أَشْعُرُ به.

لقد تَعَلَّمْتُ أنَّ العَمَلَ يُعْطيني الثِّقَةَ بالنَّفْسِ، ويُعَرِّفُني على أشياءَ جَدِيدَةٍ ومُفِيدَةٍ، ومهما كان العملُ شَاقّاً فعند الحَصَادِ، وعندما تُزْهِرُ الزُّرُوعُ وتُغَرِّدُ العصافيرُ، يَزُولُ التَّعَبُ ويَحُلُّ الفَرَحُ والسعادةُ والحُبُورُ.

ما رأيكم يا أَصْدِقَائي؟ هيّا بنا نَعْمَلُ، ومهما كان العَمَلُ صَغيراً فَسَوْفَ نُحَقِّقُ الكَثِيرَ.



الهِرَّةُ الفَيْلَسُوفَةُ

في رَوْضَةٍ عَاشَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ القِطَطِ في أمانٍ وسَلام، وكانت ألوانُها مُتنوِّعَةً وجَمِيلةً ولم تَشْعُرْ واحدةٌ منها بالْوَحْشَةِ أو الوَحْدَةِ.

وفي يَوْم جاءتْ إلى الرَّوْضَةِ هِرَّةٌ سَوْدَاءُ شَعْرُها طويلٌ ناعِمٌ وذَنَبُهَا مُكْتَنِزٌ كذَيْلِ الثَّعالبِ الجَمِيلَةِ، ولمَّا رَأَتْها القِطَطُ الصغيرةُ أصابها هَلَعٌ شَدِيدٌ وفَرَّتْ كُلُّ واحدةٍ منها إلى حِضْنِ أُمِّهَا مَهابَةَ الضَّيْفِ الغَرِيبِ.

حَزِنَتِ الهِرَّةُ السَّوْداءُ حُزْناً عميقاً لأنَّها تصادفُ المَوْقِفَ نَفْسَهُ في كلِّ مكانٍ تَأْوِي إليه، لكنها هذه المَرَّة آثَرتِ البَقَاءَ في مكانٍ قَرِيبٍ طَمَعاً بصداقةِ القِطَطِ الصغيرةِ.

وانْتَبَهَتِ الهِرَّةُ إلى قِطَّةٍ مريضةٍ مُمَدَّدةٍ على العُشْبِ لا تَقْوَى على القيام، فأَحَسَّتِ الهِرَّةُ السوداءُ بأنها مُصابَةٌ بحُمَّى خَطِيرَةٍ، ولكنها تَعْرِفُ كيف تُدَاوِيها فاقْتَربَتْ منها وأَخْبَرَتْها أنَّ سَفَرَها مِنْ مكانٍ إلى آخرَ جَعَلَهَا تَتَعَلَّمُ أشْيَاءَ

عَدِيدَةٌ ومنها الطِّبُّ، وأَخْبَرَتْها أنها تعرفُ كيف تُنَجِّيها مِنْ مَرَضِها وآلامِهَا.

ولما كانت القِطّةُ المِسْكِينَةُ تشعرُ بألَمٍ شديدٍ وَافَقَتْ رُغْمَ أنَّ جَمِيعَ القِطَطِ فَرَّتْ منها.

وعلى الفَوْرِ قَامَتِ الهِرّةُ السوداءُ بإِحْضَار بَعْضِ الأعشاب الّتي تعرفُ فَوَائِدَها، ثم أَشْعَلَتِ النَّارَ وأَحْرَقَتْها ثُمَّ أَذَابَتْ رَمَادَها في المَاءِ ورَاحَتْ تَغْسِلُ رَأْسَ القِطَّةِ المريضةِ وجِسْمَها وتَسْقِيها قليلاً مِنَ المَاء.

وبعد فَتْرَةٍ شَعَرَتِ القِطَّةُ براحَةٍ في جَسَدِهَا، وأَنَّ الحرارةَ أصبحتْ عَادِيَّةً واخْتَفَت الآلامُ، فَقَامَتْ مِنْ وَقْتِهَا ورَاحَتْ تَقْفِزُ بفَرَحٍ وسَعَادَةٍ.

عندها اقتربتْ جَمِيعُ القِطَطِ تَشْكُرُ الهِرَّةَ السوداءَ على عَمَلِهَا، ودَعَتْها للبقاءِ في رَوْضَتِهَا والعَيْشِ معها في حُبٍّ وَوِئَام.

سَعِدَتِ الهِرَّةُ بهذه الكَلِمَاتِ وتَأَمَّلَتِ العُيُونَ المُحِيطَةَ بها وكادَتْ تَطِيرُ مِنَ الفَرَحِ.

وبعد أَنْ كانت الهرةُ السَّوْدَاءُ مُشَرَّدَةً من مكان إلى آخَرَ وجدتْ حديقةً جميلةً تَأْوِي إليها، وراحت تُعَلِّمُ صِغَارَ القِطَطِ كُلَّ ما تَعَلَّمَتْهُ في أسفارها، وكانتْ مَعْلُومَاتُها كثيرةً ومُهِمَّةً فأصبحتْ أَشْهَرَ هِرَّةٍ.. وكان الجَمِيعُ يُسَمِّيها بالهِرَّةِ الفَيْلَسُوفَةِ.

العُصْفُورُ الصَّغِيرُ

في صَباحٍ رَبِيعِيٍّ بَدِيعٍ . . تَفَتَّحَتْ عُيُونُ النَّهارِ، وراحَتِ الأغصانُ تُعانِقُ بَعْضَها، والزُّهُورُ تَفْخَرُ بألْوانها.

وعلى هذا المَنْظَرِ الرّائع اسْتَيْقَظَ العصفورُ الصغيرُ، وتَأَمَّلَ هذا الجَمالَ.

تَطَلَّعَ العصفورُ يَمْنَةً ويَسْرَةً، بحثاً عن أُمِّهِ وأَبيهِ.

أصابه القَلَقُ . . أين ذَهَبا؟ لأول مَرَّةٍ يَتْرُكَانِني وحيداً، يا أَللّهُ . . ماذا أَفْعَلُ.

نَادَى العصفورُ الصغيرُ أُمَّهُ برَجاءٍ.

فأجَابَهُ السُّكونُ بعد الصَّدَى.

كانت الرِّيحُ تُداعِبُ أوراقَ الشَّجَرِ، والفراشاتُ تَلْهُو من زَهْرَةٍ إلى زَهْرةٍ، والعصافيرُ تَبْحَثُ عَنْ أرزاقها.

يا إلهي . . ماذا أَفْعَلُ؟

شَعَرَ العصفورُ بالجُوعِ والعَطَشِ . . لقد اعْتَادَ أَنْ

تُحَضِرَ له أُمُّهُ الطَّعَامَ دائماً، فَكَّرَ العصفورُ الصغيرُ، يبدو أنَّ أُمَّهُ رحلتْ بعد أن أَصْبَحَ يافعاً، وتريدُ منه الاعْتِمَادَ على نَفْسِه.

فَهِمَ العصفورُ هذا الدَّرْسَ البَلِيغ.

سَبَّحَ باسْمِ رَبِّهِ، وحَمِدَهُ، وسَأَلَهُ الرِّزْقَ، ثم وَقَفَ على طَرَفِ عُشِّهِ، وما هي إلا لحظاتٌ حتَّى كان يَسْبَحُ في الفَضاء الرَّحْبِ لوحده، ولأوّل مَرَّةٍ.

أَدْرَكَ العصفورُ الصغيرُ حِكْمَةَ أُمِّهِ وأَبِيهِ، لقد أَصْبَحَ من الضَّرُورِيِّ أنْ يعتمدَ على نَفْسه في تدبيرِ شُؤُونِه، فالاعتمادُ على النَّفْس يُعْطِيهِ ثِقَةً وقُوَّةً، وإقبالاً على الحياة.

وراحَ يبحثُ عن طَعَامٍ يأْكُلُهُ، وكُلَّما اسْتَرَاحَ على غُصْنٍ كان يَشْدُو بأَعْذَبِ الألحان، ويَشْكُرُ الله على نِعَمِهِ الكَثِيرَةِ.

تذَكَّرَ العُصْفُورُ الصَّغِيرُ ما أَخْبَرَتْهُ به أُمُّهُ، بأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قال يوماً لأصْحابه ولأُمَّتِهِ بأنهم لو كانوا يَتَّقُونَ الله حَقَّ تُقَاتِهِ لَرَزَقَهُمْ كما يَرْزُقُ الطُّيُورَ الجَائِعَةَ، تَتْرُكُ أَعْشَاشَها في أَشَدِّ حالاتِ الجُوعِ ثم تَعُودُ وقد ملأتْ بُطُونَها من الطَّعَامِ اللَّذِيذِ.

فَرَدَّ العصفورُ: يا أَللَّهُ.. الرسولُ العظيمُ يضربُ بنا الأمثالَ، يا لِحَظِّنَا نحن الطُّيُور، وها أنا خَرَجْتُ من عُشِّي

جائعاً، ولَمْ تَمْضِ سُوَيْعَاتٌ حتى ملأتْ مَعِدَتي، والحمدُ لله رَبِّ العَالَمِين.

عادَ العصفورُ الصغيرُ إلى عُشِّهِ فَرِحاً جَذِلاً.

وكانت المفاجأةُ الرائعةُ. أُمُّهُ وأبوهُ بانتظاره، كانا يريدان الاطمئنانَ على ابْنِهِمَا بعد أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ اعْتِمَادِهِ على نَفْسِهِ.

خَفَضَ العصفورُ جَنَاحَهُ أمامَ أُمِّه وأبيه، مُتَذَكِّراً قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾، رَاحَ يُقَبِّلُهُما ويَشْكُرُهُما لفَضْلِهِمَا الكَبِيرِ عليه.

كان العصفورُ الصغيرُ يَعْلَمُ أنَّ بِرَّ الوَالِدَيْنِ مِنْ أَجَلِّ الأعْمَالِ عند الله، وأنَّ عُقُوقَهُما مِنَ الكَبَائِرِ.

عَمِلَ العصفورُ بوصايا الله ووصايا رَسُولِهِ الأَمِينِ والَّتي تَدْعُو إلى إكْرَام الوَالِدَيْن وبِرِّهِمَا، ورَاحَ يُقَدِّمُ لهما الطعامَ اللَّذيذَ الذي أَحْضَرَهُ، ويسألهما الرِّضَا والدُّعاءَ له بالخَيْرِ.

بعد مُدَّةٍ قَصيرةٍ، أَحَسَّ وَالِدُهُ بأنه قد أَصْبَحَ بالفِعْلِ مُؤَهَّلاً للاعتماد على نَفْسه اعتماداً كُلِّيّاً، فوَدَّعاه، وتَمَنَّيَا له حياةً سعيدةً هَانِئَةً، فوَعَدَهُما أنْ يَبْقَى كَمَا رَبَّيَاهُ، وألاَّ يَعْمَلَ الشَّرَّ في حياته.

سُرَّ العصفوران بهذا الابْنِ، فهو ثَمَرَةُ زَرْعٍ طَيِّبٍ، ثم قَبَّلاهُ وتَرَكَاهُ يَنْعَمُ بحَيَاتِهِ الجَدِيدَةِ.

القسم الثالث

قصص قصيرة جداً

- □ الحِصَانُ الجَبَّارُ
- □ الغَزَالَةُ الصَّغِيرَةُ
- □ العُصْفُورُ
- □ زَهْرَة
- □ اليَتِيمُ
- □ العُصْفُورُ الحَزِينُ
- □ الأَرْنَبَةُ السَّوْدَاءُ
- □ الفَرَاشَةُ
- □ عِنْدَمَا تُغَنِّي الزُّهُورُ
- □ بَيْتُ العُصْفُورِ
- □ الدَّرْسُ القَاسِي
- □ المَسْؤُولِيَّةُ
- □ الجَدْيُ الغِرِّيرُ
- □ الحِمَارُ الوَحْشِيُّ يَبْحَثُ عَنْ صَدِيقٍ

حاملاً ولم تلتمس مولودات حتى ... والحمد لله رب العالمين

عاد العصفور الصغير إلى ... جدلاً [illegible]

وكانت المفاجأة الرائعة، أنه رأى باتنظاره، كلها [illegible]

[illegible]



الحِصَانُ الجَبَّارُ

شَعَرَ الحِصَانُ بقُوَّةٍ هَائلةٍ تَسْرِي في عُرُوقِهِ وأَنَّ كُلَّ مَنْ حَوْلَهُ ضِعَافٌ أَمَامَهُ ولا يَجْسُرُونَ على مُنَازَلَتِهِ أو حَتَّى الاقْتِرَابِ منه.

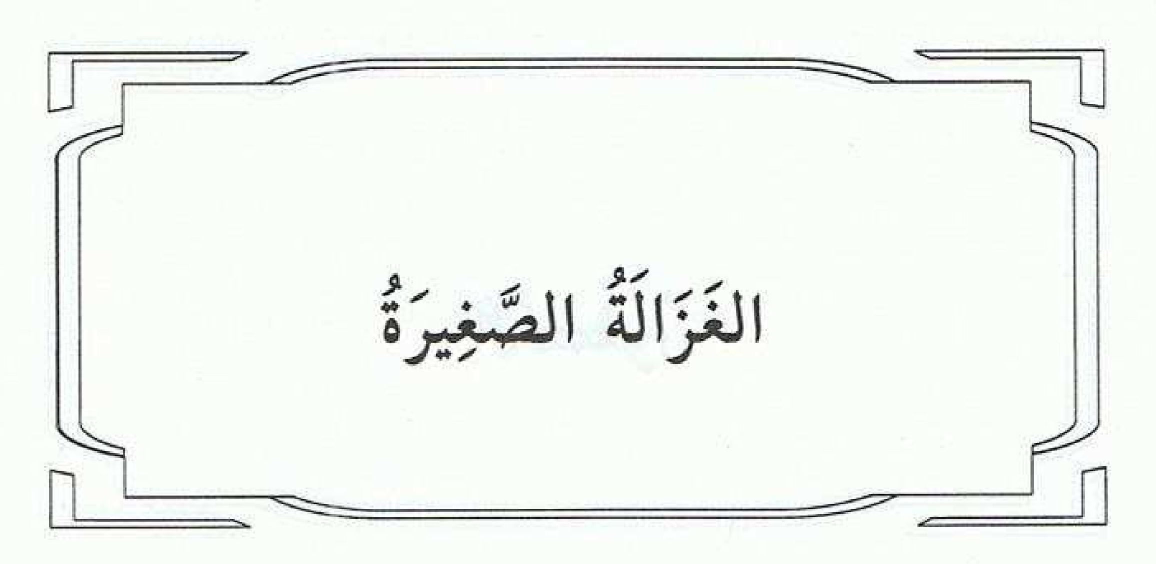
وفي يَوْم أَحَسَّ بزَهْوٍ بالغ وكَبُرَ في نَفْسِهِ، فصَاحَ: أَلاَ مِنْ مُقَاتِلٍ؟ أنا القَوِيُّ، أن الجَبَّارُ، أنا أَقْوَى الأقوياءِ، لكنَّ أحداً لم يَجْرُؤْ على الرَّدِّ.

فقَرَّرَ الصُّعُودَ إلى قِمَّةِ جَبَلٍ مرتفعٍ لتَشْهَدَ كلُّ الحيواناتِ قُوَّتَهُ وسَطْوَتَهُ.

ورَاحَ يَتَسَلَّقُ الجَبَلَ مُتَحَدِّياً قُوَّةَ الانْحِدَارِ وصَلابَةَ الصُّخُورِ، وكان كُلَّما عَلاَ بفَخْرٍ وجَبَرُوتٍ صَغُرَتِ الأشياءُ في عينيه حتّى تلاشَتْ تماماً.

وعندما بَلَغَ القِمَّةَ أصابَهُ دُوَارٌ مُرْعِبٌ فسَقَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ بسَبَبِ الإرْهَاقِ الشَّدِيدِ والتَّعَبِ البَالِغِ.

وبعد مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ نَهَضَ الحِصَانُ بِضَعْفٍ وَوَهَنٍ، وأَدْرَكَ أنَّ قُوَّتَه هَشَّةٌ ومحدودةٌ وأَنَّ القُوَّةَ الحَقِيقيَّةَ تَكْمُنُ بتَوَاضُعِهِ وخِدْمَتِهِ للضُّعَفَاءِ الَّذين يَحْيَا بينهم، فأَسْرَعَ عائداً إلى المَكَانِ الذي أتى منه بعد أنْ تَعَلَّمَ دَرْساً عظيماً وأَعْلَنَ اعْتِذَارَهُ ونَدَمَهُ أَمَام الجَمِيعِ.



الغَزَالَةُ الصَّغِيرَةُ

اشْتَدَّتْ خُصُومَةُ الغِزْلانِ وقَرَّرَتِ الانْفِصَالَ. ولمَّا اسْتَعَدَّتْ للوَدَاعِ، وَقَفَتْ غَزَالَةٌ صغيرةٌ وقالت:

بِئْسَ القَرَارُ وبِئْسَ التَّفَرُّقُ، ما دَهَى تلك المَحبَّةَ التي جَمَعَتْ بين القُلُوبِ الرَّحِيمةِ والعُقُولِ الرَّزِينَةِ، بعدما كُنَّا قُدْوَةً في الاتِّحَادِ سنُصْبِحُ مِثَالاً في التفرُّقِ أَسْهَلَ الفَرَائِسِ، حتى الوُحُوشُ الصغيرةُ لنْ تَتْرُكَنا بسَلامٍ، بعد أنْ كانت تَخْشَى اجْتِمَاعَنَا وتَوَحُّدَنا. . . إني لأَخْجَلُ بعد اليَوْمِ مِنَ انْتِسَابي إلى قِطْعَانِ الغِزْلانِ.

ورَاحَتِ الغَزَالةُ الصغيرةُ تبكي.

أَحْنَت الغِزْلانُ رُؤُوسَها حتى لامَسَتْ قُرُونُها تُرَابَ الأرْضِ. . وقالت بصَوْتٍ وَاحِدٍ:

ما أَغْبَانَا. . . ما أَغْبَانَا.



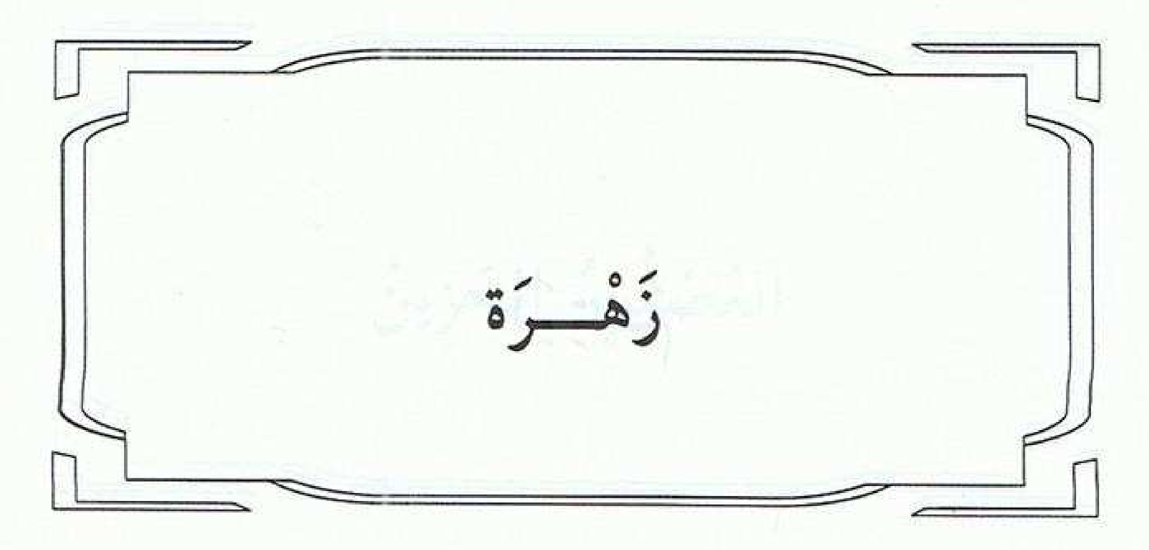
العُصْفُورُ

رَأَتْ دَانَةُ في حَدِيقَتِها عُصْفوراً يَعْمَلُ بنَشَاطٍ. . يَطيرُ مُسْرِعاً باحثاً عَنِ القَشِّ. . يَخْتارُه بعنايةٍ، يأخُذُ ما يُناسِبُهُ، ويَعُودُ إلى شَجَرَةٍ قريبةٍ، لِيَبْنِيَ عُشّاً على أَحَدِ الغُصُون.

رَاقَبَتْ دانةُ عَمَلَ الطَّائر الجَميلِ. . قالتْ: ما أَضْعَفَ هذا الطَّائِرَ! وما أَحْسَنَ عِنَايَتَهُ ببناء بَيْتِهِ الصَّغيرِ.

في هذه اللَّحْظَةِ! خَجِلَتْ دَانَةُ مِنْ نَفْسِهَا. . لقد تذكَّرَتْ إهْمَالَها لغُرْفتها وأَنَّها تُتْعِبُ أُمَّها في ترتيبها وعَدَمِ الاسْتِمَاعِ لنَصِيحَتها بتَجَنُّبِ الإهْمال والفَوْضَى.

عادتْ دَانَةُ إلى البَيْتِ بعد أَنْ تَعَلَّمَتْ دَرْساً لَنْ تَنْسَاه.



زَهْــرَة

رَأَتْ زَهْرَةُ مَشَاهِدَ الطَّبِيعَةِ السَّاحِرَةِ.

امْتلأَ صَدْرُها حُبًّا وفرحاً وسعادةً، ورَاحَتْ تتَأَمَّلُ الرَّوْضَ البَاسِمَ، أَمْسَكَتْ يَدَ أُمِّها، وسارتا سَوِيّاً على العُشْبِ الأخْضَرِ المُمْتَدِّ، تُدَاعِبُ الفَرَاشَاتِ، تُغَنِّي للطُّيُور، وتَرْقُصُ مَعَ النَّسَمَاتِ.

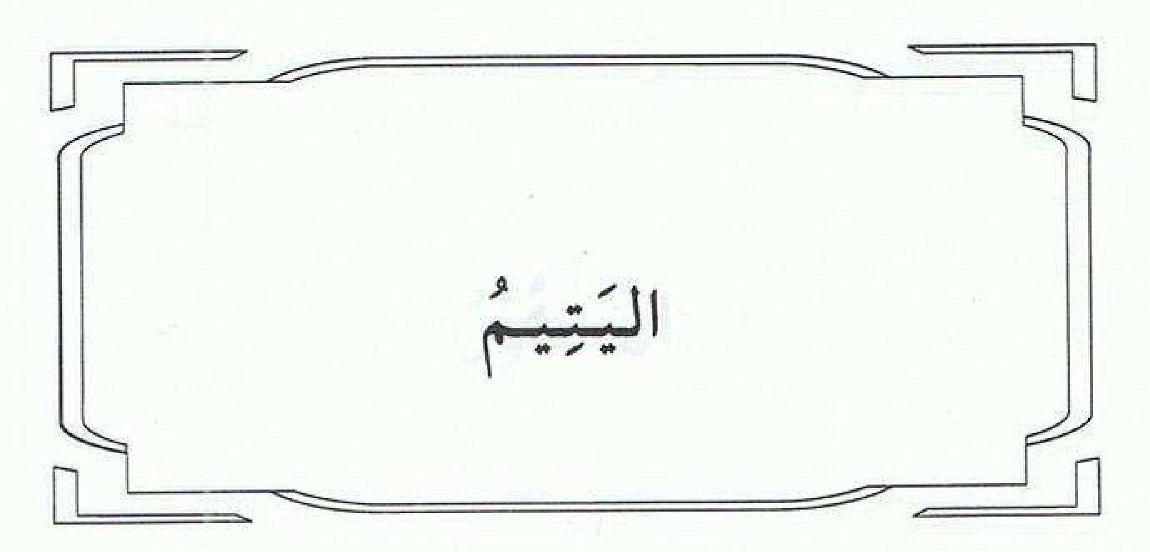
قالت زهرةُ وعيناها تتلألآن:

هل تَعْرِفُ الأَشْجَارُ أَنَّنا نُحِبُّها، والعصافيرُ أَنَّنا نَطْرَبُ لِصَوْتِها، والأَرْضُ أَنَّنا نَسْعَدُ باخْضِرَارِها، والشَّمْسُ أَنَّنا نَنْعَمُ بدِفْئِها؟ والغُصُونُ المُتَمَايلةُ هل تَدْري أَنَّنا نَسْمَعُ صَوْتَ حَفِيفِهَا الجَمِيلِ فتَزْدَانُ رِقَّةً وعُذُوبةً؟

وهل تُدْرِكُ الأزاهيرُ أَنَّنا نَتَمَتَّعُ بشَذَا عِطْرِهَا الفَوَّاح؟

قالت الأمُّ: كُونِي يا ابْنَتي هكذا، عَطَاءٌ دون رَجَاءٍ.

فإنَّها عندما تَتَوَقَّفُ عن العَطَاءِ، تَتَوَقَّفُ عن الحَيَاةِ.



اليَتِيمُ

تلَقّى بَاسِمٌ هَدِيَّةَ النَّجاحِ، أَخْبَرَ أُخْتَهُ بَاسِمَةَ بأنه سيُقدِّمُ الهَدِيَّةَ إلى طِفْلٍ يتيمٍ صَغيرٍ في الحَيِّ.

أَيَّدتْ أُخْتُهُ الفِكْرَةَ:

وبذلك تُدْخِلُ إلى قَلْبِه الفَرْحَةَ وتَكْسَبُ أنتْ النَّجاحَ والعَمَلَ الطَّيِّبَ.

مَهْلاً - قال باسمٌ - ما قَوْلُكِ لو ذَهَبنا معاً، ونَدْعُوه وأُمَّهُ لزيارتنا، حيث نُلاعِبُهُ ونُشْعِرُهُ بالبَهْجَةِ وبأننا إخْوَةٌ له..

فكرةٌ رائعةٌ - صاحت باسمةُ - هيَّا بنا على الفَوْرِ.

في اليَوْمِ التَّالي جاء الطِّفْلُ اليتيمُ ومعه أُمُّهُ وكان وَالِدا باسمٍ وباسمةَ بالانتظار أيضاً...

فَرِحَ الجَمِيعُ بهذا اللِّقاءِ..

ولَعِبَ اليتيمُ..

لم يَعُدْ يتيماً مُنذُ ذلكَ اليَوْمِ.



العُصْفُورُ الحَزِينُ

صَافَحَتْ سَلْمَى وَجْهَ النَّهارِ، وخَرَجَتْ إلى الحَديقةِ تَلْهُو وتَتَمايَلُ مَعَ النُّسَيْماتِ العَليلاتِ، فصادَفتْ مجموعةً من الطُّيُورِ تمرحُ وتُغَرِّدُ، وكان صوتُها البديعُ يَزيدُ المَنْظَرَ جمالاً وبَهَاءً.

أَحَدُ العصافيرِ كان صامتاً ساهياً وفي عينَيْه دمعتان تتلألآن، دَنَتِ الطِّفْلَةُ بحَذَرٍ، وسَمِعَتْهُ يُحادِثُ نَفْسَهُ:

تَرَكَتْني أُمِّي ورَحلَتْ، فكيف أَحْيا مِنْ دُونِها؟

ورَاحَ يُغَرِّدُ ترنيمةً حزينةً تُوجِعُ القَلْبَ.

شَعَرَ بدُنُوِّ سلمى منه، الْتَفَتَ إليها وسَمِعَها تقولُ:

أُمُّكَ لم تَتْرُكْكَ يا صَغيري، لكنها تُريدُ أنْ تَرَى كيف تَتَصَرَّفُ وأنْتَ وَحْدَكَ، فقد هَيَّأَتْكَ لتَنْطَلِقَ إلى الحَياة، فأنتَ تعرفُ كيف تَطِيرُ، وتبحثُ عن طعامك.

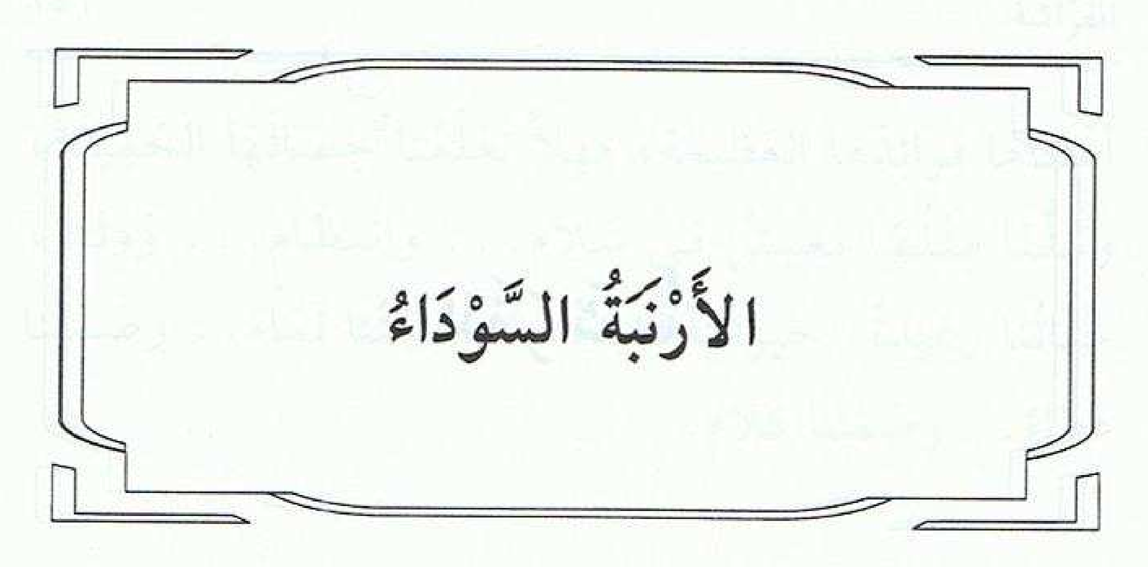
أَنْصَتَ العُصفورُ باهتمامٍ ولاحَتْ على وَجْهِهِ علاماتُ الرِّضَى.

فتَابَعَتْ سلمى حَدِيثَها:

لقد أَتَيْتُ إلى الحَديقةِ لأَسْمَعَ الأَصْوَاتَ الجَمِيلَةَ وأُشَاهِدَ المَنَاظِرَ السَّاحرةَ، فهيَّا غَنِّ مَعَ باقي العصافيرِ.

تأَمَّلَ العصفورُ حَدِيثَ سلمى، وتذكَّرَ أَنَّ أُمَّهُ اهْتَمَّتْ به منذ أَنْ رَأى النُّورَ، وأَطْعَمَتْهُ وسَقَتْهُ وحَمَلَتْهُ في عُشٍّ في أَعْلَى الشَّجَرَة، ودَافَعَتْ عنه ضِدَّ الأَخْطارِ، وعَلَّمَتْهُ كيف يُحَلِّقُ في الفَضَاءِ، وكيف يَبْنِي عُشَّهُ، ويَلْتَقِطُ طَعَامَهُ.

عندها غَرَّدَ العُصفورُ بفَرَحٍ متأكِّداً أَنَّ أُمَّهُ تُرَاقِبُهُ وعليه أَنْ يُثْبِتَ لها أنه جَدِيرٌ بالاحترامِ وأنه سَيَنْجَحُ بالاخْتِبَارِ الَّذي وَضَعَتْهُ فيه.



الأَرْنَبَةُ السَّوْدَاءُ

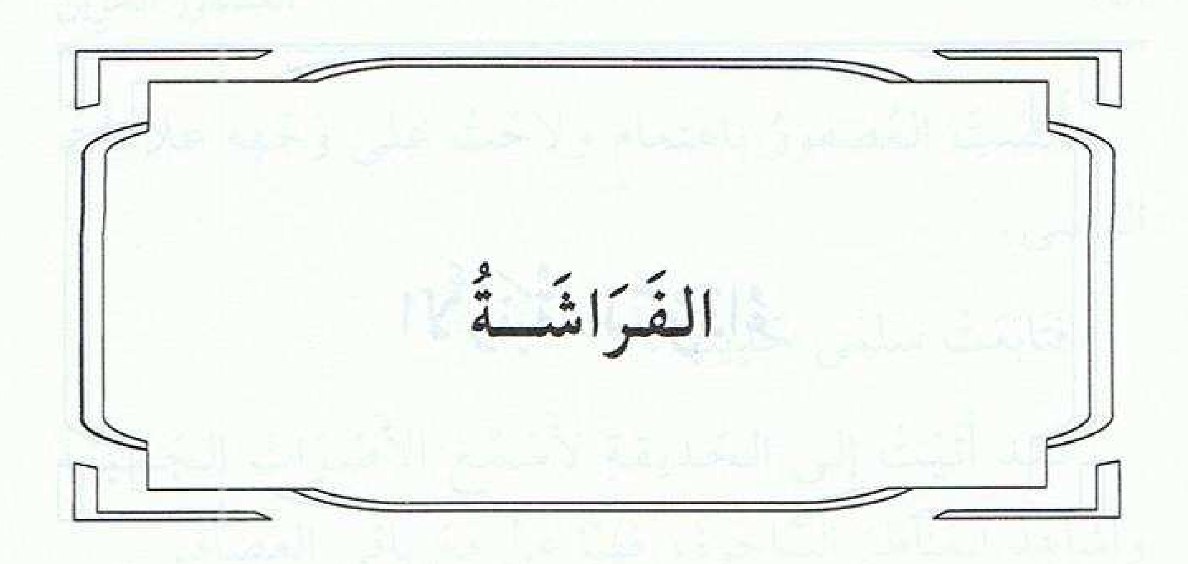
أَرْنَبَةٌ سَوْدَاءُ، كانت بغَبَاءٍ تَعْبَثُ في البُسْتَانِ، دَاسَتِ الأَزْهَارَ، وشَوَّهَتِ الدِّيَارَ. رآها أرنبٌ صغيرٌ، نَهَاهَا عَمَّا تفعلُ، قالت: إنِّي أَتَسَلَّى، فابْتَعِدْ عن سبيلي.

قال الأرنبُ بغَضَبٍ: إيَّاكِ وهذا اللَّعِبَ! أحِبُّ دِيَارِي، وعُشْبِي وأزْهَارِي، وإنِّي أبداً لن أسْمَحَ يوماً بهذا المَرَحِ.

صَاحَتْ بحِدَّةٍ: اذْهَبْ مِنْ أَمَامي واحْذَرْ مِنْ أسْنَاني.

سمعتْ أرنبةٌ عَجُوزٌ، قالتْ: ما هذا النُّشُوزُ؟ كُوني مُهَذَّبَةً يا طِفْلَتي العَابِثَةُ، الأرنبُ الصَّغيرُ يُدْرِكُ المَصِيرَ وأنْتِ تَجْهَلِينَ مَصيرَكِ الحَزِينَ، لو تَكَرَّرَتِ الأفْعَالُ، أَرْضَنَا تُغَادِرِينَ.

أيْقَنَتِ السوداءُ، عُقُوبَةَ الشَّقَاءِ، فعادَتْ لرُشْدِهَا، واعْتَذَرَتْ لقَوْمِهَا، ومنذ ذاك الزَّمَان شِعَارُها كان مَحَبَّةَ الأَوْطَانِ.



الفَرَاشَــةُ

فَرَاشَةٌ مُلَوَّنَةٌ تَطِيرُ في البُسْتَانِ، حُلْوَةٌ مُهَنْدَمَةٌ تُدْهِشُ الإنْسَانَ، أَهْدَافُها مُحَدَّدَةٌ، حركاتُها مُرَتَّبَةٌ، تَحُومُ بانتظامٍ، تَحُطُّ في نُعُومَةٍ تنشرُ السَّلامَ.

فراشةٌ ملوَّنةٌ تطيرُ بلا انْقِطَاعٍ، بالنَّهار المُشْرِقِ تَمْلأُ البِقَاعَ، تُحِبُّ الوَرْدَ المَزْرُوعَ، تَلْثُمُهُ في وَقْتِ الجُوعِ، تَمْتَصُّ رَحِيقَ الأزهَار، تَجْنِي جَنَى الأشْجَار، مِنْ وَرْدَةٍ لوَرْدَة، تطيرُ بانْتِظَام.

فراشةٌ ملونةٌ تُعْطي بلا انْتِفَاع، هَمُّها ثِمَارٌ تُطْعِمُ الجِيَاع، تُحَاكي الجَمَالَ تَرْسُمُ الإبْدَاع. . تَعِيشُ في وِئَام.

صَحِيحٌ أَنَّها ضَعِيفَةٌ. . ضَعِيفَة، ليس لها مِنْ قُوَّةٍ، ولا لها مِنْ حِيلَة، فسُبْحَانَ مَنْ أعطاها ألوانَها الفريدةَ ومزاياها العَدِيدَة، فدَوْرُهَا كَبِيرٌ، بحَجْمِها الصَّغِير، سُبْحَانَ مَنْ

أعطاها فوائِدَها العَظِيمَةَ، فهلاَّ تُعَلِّمُنا خِصَالَهَا الحَمِيدَةَ، وكُلُّنَا مِثْلُهَا نعيشُ في سَلام... وانْتِظَام... وَوِئَام، حياتُنا رغيدةٌ، خيراتُنا أكيدةٌ.. وصَمْتُنا نَمَاءٌ.. وصَمْتُنَا عَطَاءٌ.. وصَمْتُنا كَلام.



عِنْدَمَا تُغَنِّي الزُّهُورُ

أَحْمَدُ طِفْلٌ صغيرٌ، كان يَبْحَثُ عن شَيْءٍ ما .

صَوْتٌ جميلٌ تَرَدَّدَ في الحديقةِ، ظَنَّ الزُّهُورَ تُغَنِّي، دَارَ ودَارَ، وظَلَّ طِوَالَ النَّهَارِ يبحثُ عن زهرةٍ تُغَنِّي، وفجأةً رَفَعَ رَأْسَهُ، وشَاهَدَ عصفوراً يُغَنِّي، عَرَفَ الصَّوْتَ، إنَّهُ يبحثُ عنه .

فَرِحَ أَحْمَدُ بهذا الاكْتِشَافِ، وتَعَلَّمَ ألاَّ يبحثَ عن الشيءِ في المكانِ الخَطَأ، وألاَّ يَنْسُبَ الغِنَاءَ لِمَنْ لا يُجِيدُهُ، ولا العَطَاءَ لِمَنْ لا يَعْرِفُهُ .

وعَادَ إلى أُمِّهِ لِيُخبِرَهَا عَنِ اكْتِشَافِهِ العَظِيمِ .

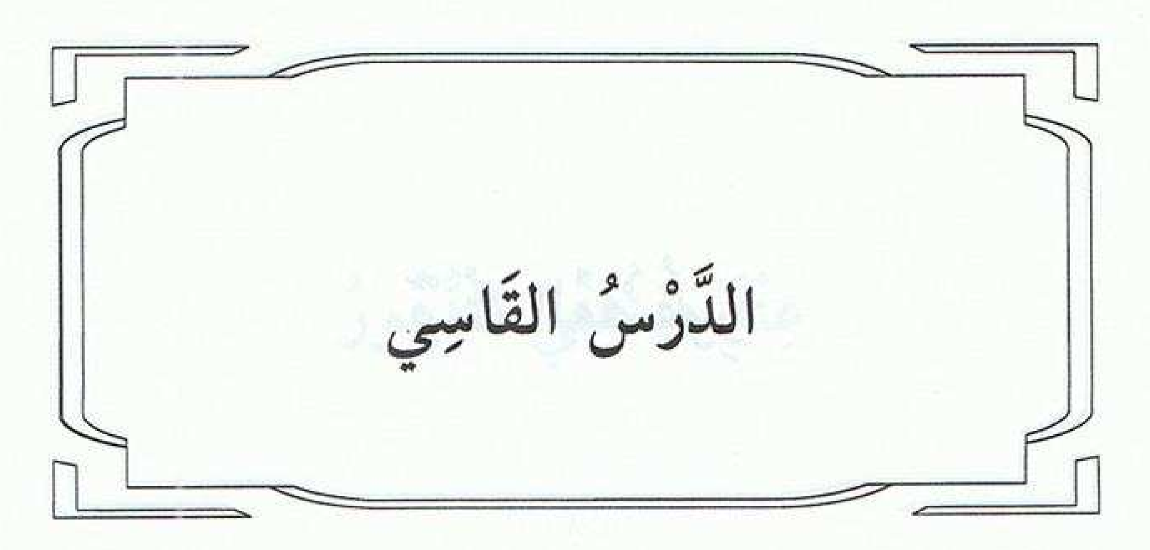


بَيْتُ العُصْفُورِ

أَرْنُوب شَطُّورٌ، يَصْنَعُ بيتاً للعُصْفُور، يُحْضِرُ ألواحاً خَشَبِيَّةً، يَجْعَلُها قِطَعاً فَنِّيَّةً، يُرَكِّبُها بمَهارةٍ ويَبْنِيها بجَدارَة، بابٌ مُقوَّسٌ هُنا وهُنا سَقْفٌ مُرَوَّسٌ، وهُنا وَتَدٌ يَدُور. . ما أحْلَى بَيْتَ العُصْفُور.

سُرَّ الأَرْنُوبُ الحَبُّوبُ، عيناه بالبَيْتِ تَجُوب، لَوَّنَهُ بألوانٍ عِدَّة. . وزَيَّنَهُ بأزْهارٍ حُلْوَة، صارَ بيتاً للعُصْفُور، يَسْكُنُهُ لَيْلَ نَهار، أَحْلَى مِنْ أَبْهَى القُصُور.

شُكْراً أرنوبي اللَّطِيف، لولاكَ ما كنتُ أَعِيشُ في بَيْتٍ كهذا البَيْتِ، أَسْكُنُهُ دَوْماً وأَجُول، أَنْشُدُ ما ليس بمُعْتَاد، آمَنُ مِنْ غَدْرِ الصَّيَّاد، أَعْزِفُ أَلْحانَ الحُرِّيَّة، أَسْكُبُ أفْراحي اليَوْمِيَّة. . أَنْثُرُ أنغاماً ووُرُوداً. . . وأُباهي كُلَّ الطُّيُور.



الدَّرْسُ القَاسِي

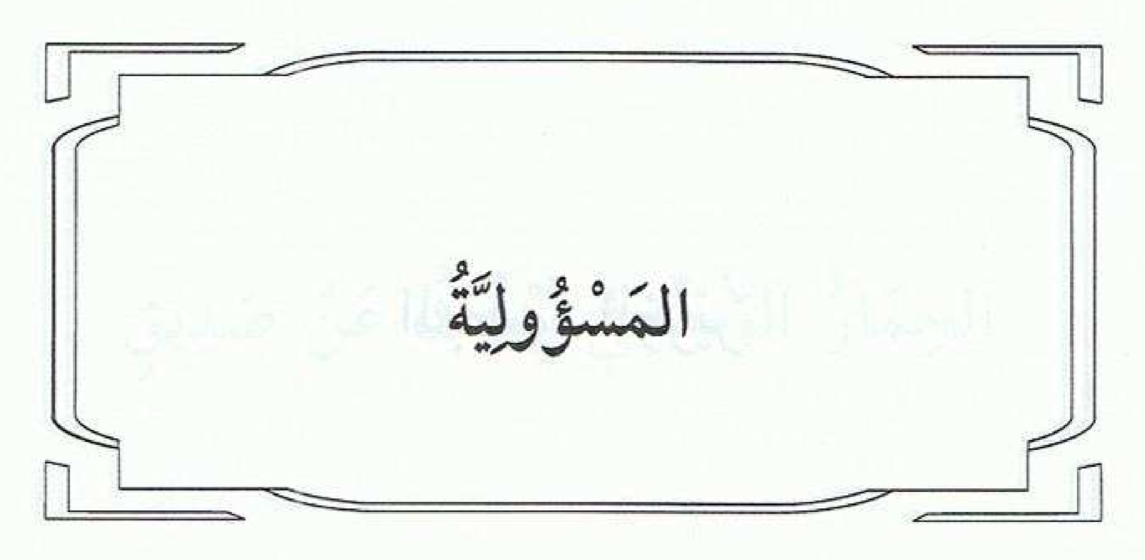
خَرَجَ جَمَلٌ عَجُوزٌ في أحَدِ الأَيَّام، فرآه جَمَلٌ صَغِيرٌ، أَخَذَ يَسْخَرُ مِنْ مِشْيَتِهِ الضَّعيفةِ، فقال: هل تُسَابِقُني؟

لا، لا، ستفوزُ حَتْماً، وصَارَ يَضْحَكُ ويَضْحَكُ.

أراد الجملُ العجوزُ أنْ يُلَقِّنَ هذا المَغْرُورَ دَرْساً لا يَنْسَاهُ، فقال: أُوَافِقُ، لكن قَبْلَ ذلك نتسابقُ بالعَقْلِ أوّلاً.

دَعَا الجملُ العجوزُ مجموعةً من الجِمَالِ لِحُضُورِ المسابقَةِ، ورَاحَ يَطْرَحُ على المَغْرُورِ أسئلةً بسيطةً عن أنواعِ الأَشْجارِ والبِيئَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ، فكان الجَمَلُ الصغيرُ لا يعرفُ جواباً، وكانت الجِمَالُ تضحكُ من جَهْلِهِ وغُرُورِهِ.

وهنا عَلِمَ الصغيرُ بذَنْبِهِ، واعْتَذَرَ، وسألَ الجَمَلَ العَجُوزَ أنْ يكونَ تِلْمِيذاً له، يبقى معه ويَخْدُمُه، حتّى يَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِ ومن خِبْرَتِهِ الطَّويلةِ.



المَسْؤوليَّةُ

أَشْعَلَتِ ابْنَتي مِصْباحَ غُرْفَتِها بعد مُنْتَصَفِ اللَّيْل، وتَسَلَّلَتْ بهُدوءٍ إلى الصَّالة لمُشاهدةِ التِّلْفازِ.

خرجتُ من غُرْفتي، لم أَتَكَّلَمْ، فشَعَرَتِ ابْنَتي بالذَّنْبِ وعَادَتْ إلى سريرها خَوْفاً مِنَ العِقَابِ.

في الصَّباح أحْضَرْتُ تِلْفازاً خاصّاً بها، وجِهَازاً لعَرْضِ الأفلام المُنَاسِبَةِ لسِنِّهَا، واشتريتُ لها مجموعةً من القِصَصِ والألعابِ المُسَلِّيَةِ والمُفِيدَةِ.

ومنذ ذلك اليَوْم لم تَعُدِ ابْنَتي بحَاجَةٍ لكيْ تَتَسَلَّلَ إلى الصَّالَةِ في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ.



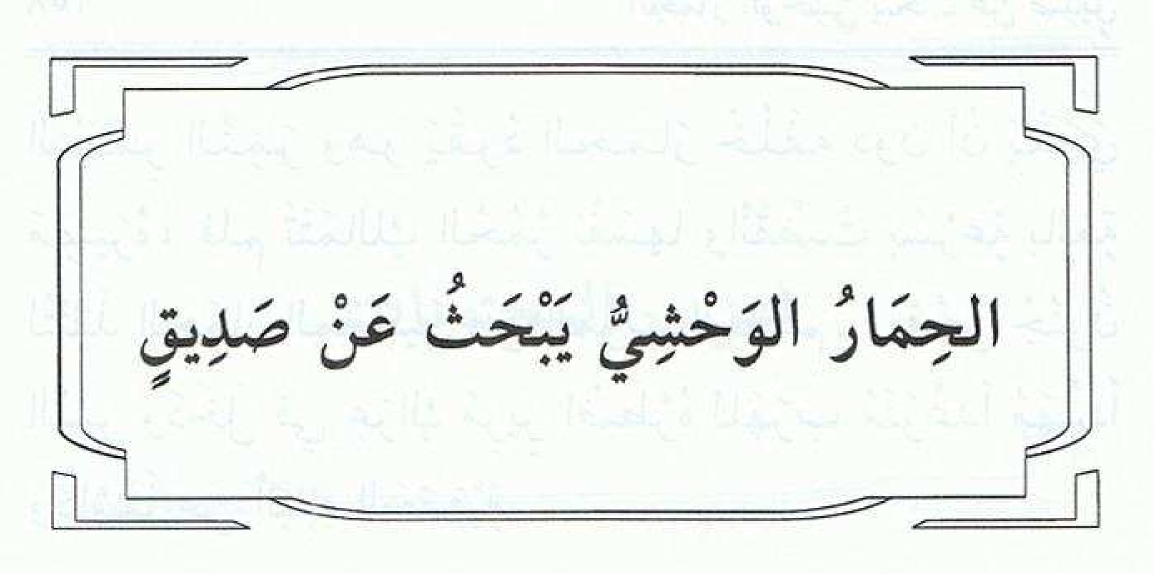
الجَدْيُ الغِرِّيرُ

في لَيْلَةٍ طَويلةٍ فَكَّرَ الذِّئْبُ بحِيلَةٍ، أفكارُهُ خَطِيرَةٌ، وأفْعَالُه شَهِيرةٌ.

لما أَتَى الصَّباحُ رَاحَ يَعْدُو كالرِّمَاحِ، يَسْعَى للأكْلِ الكَثيرِ ولا يُبَالي بالصَّغيرِ.

شَاهَدَ جَدْياً وليداً، يَعْدُو بالمَرْج سعيداً، ظَنَّهُ الجَدْيُ رفيقاً فحَيَّاهُ باحْتِرَام وهَزَّ الرَّأْسَ وأَدْنَى كَفَّهُ للسَّلام، حَادَثَ الشِّرِّيرُ نَفْسَهُ، غِرٌّ صَغِيرٌ لا يَفْقَهُ، ضَعِيفٌ كُلُّهُ لُقْمَةٌ. . لكن تَمْلأُ المَعِدَةَ، فظَنَّ المِسْكينُ أَنَّهُ ذِئْبٌ أَمِين.

أَمْسَكَهُ بيده وقَادَه لأَهْلِه. . فانْقَضَّ بسُرورٍ يَنْهَشُ الصَّيْدَ الوَفِيرَ.



الحِمارُ الوَحْشِيُّ يَبْحثُ عَنْ صَدِيقٍ

غَادَرَ الحِمارُ الوَحْشِيُّ قَطِيعَهُ بَحْثاً عن حَياةٍ جديدةٍ وصَديقٍ جديدٍ، ورَاحَ يَدُورُ هنا وهناك، فصَادَفَ نَمِراً جائعاً فظَنَّهُ حيواناً لطيفاً، وبعد أنْ شَاهَدَ جَمالَ شَكْلِهِ والخُطُوطَ الذَّهَبِيَّةَ التي تُزَيِّنُهُ، اقْتَرَبَ منه مُبْدِياً رَغْبَتَهُ بأن يَكُونَ صَدِيقَهُ.

تَفاجَأَ النَّمِرُ بهذا الحِمَارِ الجَاهِلِ، وضَحِكَ كثيراً في قَلْبِهِ ووَعَدَ نَفْسَهُ بِوَجْبَةٍ لذيذةٍ، فأَظْهَرَ له المَوَدَّةَ والمَحَبَّةَ ورَحَّبَ كثيراً بهذه الصَّداقةِ ووَعَدَهُ كاذباً بأن يَكُونَ مُخلصاً ووَفِيّاً.

ولما كانت خِبْرَةُ الحِمَارِ قليلةً لم يَكْتَشِفِ الخَدِيعَةَ، وذَهَبَ إلى المَوْتِ بإرادته بعد أنْ قَبِلَ دَعْوَةَ النَّمِرِ لزيارة بَيْتِهِ.

فمَشَى معه بسُرُورٍ، وبعد مُدَّةٍ وَجيزةٍ شَاهَدَ قَطِيعٌ مِنَ

الحُمُرِ النَّمِرَ وهو يَقُودُ الحمارَ خَلْفَه دون أنْ يَدْرِيَ مَصِيرَهُ، فلم تَتَمالَكِ الحُمُرُ نَفْسَها وانْقَضَّتْ بسُرْعةٍ بالغةٍ لتُنْقِذَ الحِمارَ المِسْكِينَ من المَوْتِ المُحَتَّمِ. فجُنَّ جُنُونُ النَّمِرِ ودَخَلَ في عِراكٍ مَريرٍ اضْطَرَّهُ للهَرَبِ مُتَوَعِّداً مُهَدِّداً وكاشِفاً عن أنيابِهِ الحَقِيقِيَّةِ.



فهرس المحتويات

القسم الثالث
قصص قصيرة جداً



الدكتور طارق أحمد البكري يعرف جيداً كيف يجمع في قصصه بين متعة القراءة والتثقيف. فهو لا يكتفي بإتقان الحبكة القصصية فيما يكتبه، بل يخرج القارئ من كل قصة يكتبها بقيمة أخلاقية وحكمة نفيسة هي أكثر ما يحتاجه الأطفال والمراهقون في مجتمعنا العربي والإسلامي.

وفي هذا الكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - نضع مجموعة من القصص المختارة للدكتور البكري، مقسّمة إلى ثلاث مجموعات وهي:

١ - قصص إسلامية.

٢ - قصص قصيرة.

٣ - قصص قصيرة جداً.

مع أملنا ودعائنا المولى تعالى أن يُشبع هذا الكتاب نَهَمَ جيلنا الجديد للمعرفة والمتعة الهادفة.





دار الرُّقيّ
للطباعة والنشر والتوزيع
خليوي: 235949 3 00961 بيروت - لبنان
تليفاكس: 920158 7 00961 - ص.ب: 4101